لِقاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٢٣٠)

لَامِيَّةُ البَحْرَيْنِ

نَظْمُ الأَدِيبِ الكَامِلِ والأَرِيبِ الفَاضِلِ
الشيخ عبد المحسن بن محمد بن يعقوب الصَّحَّاف
المحرَّقيّ البحريني ثم المكّي
المتوفَّى ١٣٥٠هـ

تحقيق وتعليق
الدكتور السيّد محمد رفيق الحسيني

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم
دار البشائر الإسلاميّة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً.

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

ISBN 978-614-437-118-3

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِيْنُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُوْلُهُ، فاللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك عَلَى سَيِّدنا محَمَّد وعَلَى آلِهِ وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْد:

فَإِنَّ تَارِيْخَ البَحْرَيْنِ لَا يَزَالُ بِحَاجَةٍ إلى جَمْعِ أَوْرَاقَه ووَثَائِقِهِ، ومُتَابعَةِ حَوادِثِهِ ومُجْرَيَاتِهِ لَا سِيَّما الجَانِبَ الثَّقَافِي والعِلْمِي، فَهُوَ أَشَدُّ حَاجَةً إلى العِنَايَةِ والاهْتِمَام، وكَمْ هَضَمْنَا عُلَمَاءَ هَذِهِ المَمْلَكَةِ حَقَّهُمْ، ولَمْ نَعْرِفْ لَهُمْ مَنْزِلَتَهُمْ ومَكَانَتَهُمْ، مِنَ التَّكْرِيْم والإِعْزَازِ، ولَمْ تَحْظَ أَعْمَالُهُمْ وتُرَاثُهُمْ بِأَيِّ عِنَايَةٍ وإِبْرَاز، لَا مِنْ حَيْثُ التَّحْقِيق ولَا مِنْ حَيْثُ الدِّرَاسَة، حَتَّى مِنَ المُقَرَّبِيْنَ لَهُمْ، وكَمْ فِي النَّفْسِ مِنْ حَسَرَاتٍ وزَفَرَاتٍ، وحَزَازَاتٍ وآلَام، لَكِنَّهَا لَا تُسْمِنُ ولَا تُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ مَا لَمْ يُصَاحِبْهَا عَمَلٌ وهَمٌّ، وبَحْثٌ وتَنْقِيْبٌ، وجِدٌّ واجْتِهَادٌ، وإِنَّنَا نَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعِيْنَنا عَلَى لَمِّ بَعْضِ هَذِهِ الشَّوَارِدِ، وَإِبْرَازِ تِلْكَ الفَوَائِدِ الفَرَائِدِ.

وهَذِه «لاميَّةُ البَحرَيْنِ» للشَّيخِ الشَّاعرِ الأديبِ عبدِ المُحْسِنِ بنِ محمَّدٍ بنِ يعقوبَ، الصَّحَّافِ، المُحَرَّقيِّ، البَحرَيْنيِّ، ثمَّ المَكِّيِّ.

هي المَنْظُوْمَةُ الخامسةُ الَّتي أخْرجْتُها لعُلماءِ البَحْرَيْنِ، والَّتي تَأْتِي ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ مُتَلاحِقةٍ بِإذْنِ اللهِ لنَفْضِ الغُبَار عنْ تُرَاثِ عُلَمَائِنَا الرُّوَّاد، وإبْرازِ تُرَاثِهِمْ مِنْ طَيِّ النِّسْيَان، قِيَامًا بِوَاجِبِ الوَفَاءِ لَهُمْ، وقَضَاءً لَا أَدَاءً لِبَعْضِ مَا لَهُمْ مِنَ الحُقُوْقِ عَلَيْنَا، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ.

كَمَا لا أنْسَى أنْ أتقدَّمَ بالشُّكْرِ الجَزِيْلِ لشَيْخنا الدُّكتورِ مُصْطفَى آدم، وفَضِيْلَةِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ ولد غُلام الشِّنْقِيطِيِّ، وفَضِيلةِ الشَّيْخِ العلَّامَةِ مُحَمَّدٍ الحَسَنِ الشِّنْقِيْطِيِّ المَكِّيِّ ثمَّ المَدنِيِّ(١)، والأستاذِ الشَّاعِرِ مُباركٍ العمَّاري، وغيرهم، على مُراجعتهم للقَصِيْدةِ وتَصْحِيْحِها أو إبْدَاءِ الفِكْرَةِ والرَّأي.

أَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا فِيْهِ، وأَنْ يَجْمَعَ على الحَقِّ شَمْلَنَا، وأَنْ يُوَحِّدَ كَلِمَتَنَا، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعَانُ، وعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، ومِنْهُ الثَّوَابُ وإلَيْهِ المَرْجِعُ والمَآبُ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم.

والحمد لله ربّ العالمين

الدكتور السيّد محمّد رفيق الحسيني
مملكة البحرين البسيتين
٣/ ذي الحجة/ ١٤٣٤هـ
٨/ ١٠/ ٢٠١٣م

---

(١) من طلاب ابن آد، وهو من كبار طلاب العلَّامة يحظيه بن عبد الودود، الملقَّب بسيبويه الثاني.

ترجمة صاحب النَّظم
الشيخ العلَّامة عبد المحسن الصَّحَّاف(١)

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ الشَّاعر الأديب عبد المحسن بن محمَّد بن يعقوب، الصَّحَّاف(٢)، المُحَرَّقي، البَحرَيْني، ثمَّ المكِّي، المالكي، شاعر البلاط

---

(١) «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٤/ ٢٩٦)؛ و«المغمورون الثلاثة: (عالم وشاعران) الشاعر عبد الله الجامع، والعالم خليفة النبهاني، والشاعر عبد المحسن الصحاف» للأستاذ الأديب مبارك الخاطر (ص٤٩)، البحرين سنة ١٩٨٩م؛ و«علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر» للأستاذ بشار بن يوسف الحادي (ص٣٩١)، بيت البحرين للدراسات والتوثيق، البحرين، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م؛ و«الشعر في الجزيرة العربية: نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ» لعبد الله الحامد، (ص٣٩٢)، الطبعة الأولى، دار الكتاب السعودي، الرياض، سنة ١٩٩٣م؛ و«مكة في القرن الرابع عشر الهجري» لمحمد عمر رفيع (ص٣٣٤)، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨١م؛ و«الموقع الإلكتروني لمعجم البابطين» على شبكة التواصل الاجتماعي.

(٢) وهي جماعة واسعة كبيرة، كانت تقطن الأحساء، وتنتمي إلى قبيلة تميم، =

الهاشمي ـ الشَّريف حسين ـ في الحجاز(١)، وشاعر الثَّورة العربيَّة(٢)، وأبرز أصوات الشِّعر السِّياسي في عصره.

الصَّحَّاف: أحد العوائل العربيَّة المعروفة بالبَحرَيْن، والَّتي سكنت مدينة المُحَرَّق عاصمة البَحرَيْن آنذاك، وكان منها علماء وقضاة ومفتون، وفيها أغلب القبائل العربيَّة، وفيها يقول: [الوافر]

ومسقطُ هَامتِي ورُبُوعُ قَومِي   وأتْرَابيْ ومَلْعَبِي الجَمِيْلا
ومُحْتضَنُ الأعَارِبِ والنَّشَامَى   ولِي فيهَا الأقَارِب والقَبِيْلا

وجدُّهم الأعلى عبد المحسن بن عبد اللَّطيف الصَّحَّاف، ومن أبنائه: إبراهيم، ومحمَّد، وعبد اللطيف، ومن أحفاده: عبد المحسن، والشَّيخ عبد الله، والشَّيخ القاضي عبد الله المالكي، وهو آخر من تولَّى القضاء من عائلة الصَّحَّاف.

= انتقل بعضهم إلى الزبارة بعد ازدهارها على يد شيخها الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة، ثم هاجرت مع هجرتهم إلى البَحرَيْن.

(١) يقول الدكتور عبد الله الحامد: (كان الصحاف وثيق الصلة بالملك حسين بن علي حتى سماه بعضهم: شاعر البلاط الهاشمي).

(٢) يقول الدكتور عبد الله المعيقل: «أما عبد المحسن الصَّحَّاف، فقد عُرف كشاعر للثورة العربية، ومناصرًا للشريف حسين، ويكاد يكون شعره كله لمدح قائد الثورة العربية، ومهاجمة العثمانيين، وقصائده لا تعدو أن تكون خطبًا سياسية، جاءت على هيئة نظم موزون ومقفًّى».

مولده ونشأته:

وُلد رحمه الله سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، بحي ابن خاطر بمدينة المُحَرَّق بالبَحرَيْن، وبها نشأ ودرس، وعاش بين أسرة الصَّحَّاف، وفي ذلك يقول: [الطويل]

وإنِّي إلى أهلِ المُحَرَّق تَائِقٌ   وهلْ لي أنْ أنسَى مجالسَها الزُّهْرِ
يقومُ بهَا للخَاطِرِيِّيْنَ مسجدٌ(١)   ومدرسةٌ تُعْليْ منَ العِلمِ والذِّكرِ
سلامٌ على البَحرَيْن منِ ابنهَا الَّذي   بمكةَ ثاوٍ لا يَرِيْمُ مدَى الدَّهرِ

وكان والده من أهل العلم وطلَّابه، درس في مدرسة محمَّد بن حسن الخاطر، ثمَّ رحل بصحبة أسرته ـ ومنهم شاعرنا عبد المحسن ـ إلى مكَّة المكرمة، وهناك عاش وأكمل تعليمه على مشايخ الحرم واستفاد منهم في شتَّى العلوم، كما يستشف من قوله: [الطويل]

ومهْبِطُ وحيِ اللهِ والذِّكرُ يُجْتَلى   بأفْيَائِهَا عندَ المَقَامِ وفي الحِجْرِ
مشَايِخُهَا في العلمِ أعلَى مَراتِبًا   وأعلى مَقَامًا في الحديثِ وفي الذِّكرِ

يقول الأستاذ مبارك الخاطر: «فعبد المحسن بن محمَّد بن يعقوب الصَّحَّاف مُحَرَّقِيُّ المولد والطُّفولة والتَّعليم الكتابي، مكِّيُّ التَّعليم الدِّيني والأدبي، حجازي الإقامة والمصير»(٢).

---

(١) وفي ذلك يقول:

محمد الحسن بن الخاطر انفتحت   له كنوز المعالي دون تقليم
هو استضاف أمير العرب في عسر   عبد العزيز وخُوَيِّه بتكريم
مذ أمَّ مسجده في ليل مظلمة   فبات فيه بتحنان وتنعيم

(٢) «المغمورون الثلاثة» (ص٦١).

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنَّه لم يبلغ في العلم الشَّرعي مبلغًا يشار إليه، ولذا عاش في ضنك من العيش، وقلة ذا اليد، في بداية عمره، ولذا قال عنه الزِرِكْلِي: «شاعر عاش في بؤس»، وعمل مطوِّفًا بالبيت الحرام.

بخلاف معرفته بالأدب واللغة والشعر، فالمربي الأديب المؤرِّخ الرَّحالة السَّيد أحمد علي الكاظمي المكِّي كان يعتبر الصَّحَّاف أستاذًا له ولإخوانه، فكان هو وإخوانه(١) يرجعون إليه في المشكلات اللغويَّة والأدبيَّة الَّتي كانت تواجههم، فيقوم الصَّحَّاف بشرحها لهم شرحًا وافيًا.

وبدأ يستغل هذه المهارة وينمِّيها، وبدأ ينظم الشِّعر: في المديح، والغزل، والوصف، والسِّياسة، والرَّثاء. وجدَّ في ذلك وارتقى، حتَّى عُرِف شعره في الحجاز وخارجه، وألقى قصائده الرنَّانة القويَّة في المحافل العلميَّة والأدبيَّة والسِّياسيَّة. وبدأ اسمه يتسلل إلى طبقة الشُّعراء البارزين، ومدح بعض الملوك والأمراء وأرباب المناصب، ونُشر الكثير من شعره في صحف الحجاز(٢)، وغيرها(٣).

---

(١) حيث كان الصَّحَّاف صديقًا لوالدهم السيد أسد الله الكاظمي.

(٢) لا سيما «جريدة القبلة».

(٣) وإن كانت قصائده في العموم تتسم بسمات القصائد التقليدية الجامدة، من حيث اللغة والمواضيع، لاسيما سمات العصر المملوكي والعثماني، من استخدام التعابير الفقهية، والنحوية، والمبالغة في استخدام الأساليب البلاغية.

تولَّى العلَّامة الشَّيخ محمَّد صالح بن صدِّيق بن عبد الرَّحمن كمال الحنفي (ت١٣٣٢هـ) مشيخة العلماء بمكَّة، أقام له سكان محلَّة القشاشيَّة حفلة تكريم حضرها العلماء والوجهاء، فيقوم شاعرنا وينتهز هذه المناسبة ويُلقي قصيدةً في منتهى الإبداع، مطلعها:

كمالُ علمكَ قدْ زانتْ بهِ الرُّتبُ ومكَّةُ عمَّها مِنْ فخرِها الطَّرَبُ

كما نقلت «مجلة المنار» عن «جريدة القبلة» الحجازيَّة⁽¹⁾ ـ والَّتي كانت تصدر بمكَّة ـ أنَّه لمَّا بُويع الشَّريف حسين بن علي الهاشمي ملكًا على الحجاز اجتمع الوجهاء والعلماء والشُّعراء في القصر الهاشمي، فكتبت: «مبايعة شريف مكَّة وأميرها على ملك العرب: جاء في «جريدة القبلة» الَّتي صدرت بمكَّة في ثالث المحرَّم فاتحة هذا العام، ما نصُّه: امتلأت قاعات قصر الدِّيوان الهاشمي العالي صباح أمس بجماهير الأشراف الكرام، والعلماء الأعلام، والأعيان العظام، بحيث لم يبق في بلد الله الأمين ذو حيثيَّة، ومكانة عاليَة إلَّا وحضر... وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشَّاعر الأديب الشَّيخ عبد المحسن الصَّحَّاف خطبة أنيقة بصوت جهوريٍّ، وأتبعها بقصيدةٍ غرَّاء تناسب المقام»⁽²⁾.

وهذا يدلُّ على أنَّ الصَّحَّاف باتَ مقرَّبًا من مجالس الوجهاء والكبراء، وأنَّه تبوَّأ مكانة عظيمة، وباتت صلته قويَّة بملك الحجاز⁽³⁾.

---

(١) «وأبرز أصوات الشعر السياسي ورواده في جريدة القبلة» (١٣٣٥هـ ـ ١٣٤٣هـ).

(٢) «مجلة المنار» (١٩/ ٤٣٥).

(٣) «يقول الأستاذ سلمان أحمد كمال فيما سجلناه عنه في حياته: أنه ذهب مع شيخه الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع إلى الديار الحجازية للحج، عن طريق البحر، وكان ذلك في العشرينات من هذا القرن، وكان =

مؤلفاته:

ترك رحمه الله الكثير من القصائد والأشعار، الطَّويلة والقصيرة، في جميع أغراض الشِّعر المعروفة، في الغزل[1]، وفي المدح[2]، كما له الكثير من التَّخميسات والتَّشطيرات والتَّشجيرات، كما أنَّ له أشعارًا بالنَّبَطِي والحُمَيْني والعَامِّي.

ولم يختلف الصَّحَّاف عن شعراء وقته إلَّا أنَّه تميَّز عليهم بالشِّعر السِّياسيِّ، **فمن منظوماته:**

١ ـ «الفِيُوضَات الإلهيَّة»:

بحر الكامل، طبع في المطبعة الميرية بمكة المشرَّفة سنة ١٣٢٢هـ

= يصحبهم الحاج محمد الباكر، وقد واجهتهم عاصفة هوجاء فغرقت باخرتهم قرب جدة، فأُنقِذوا ونقلوا إليها، فأقاموا في جدة أيامًا للراحة، استطاعوا فيها مقابلة الملك حسين والسلام عليه، وهناك وجدوا الشاعر عبد المحسن الصحاف لديه، فتعرفوا عليه وساعدهم الشاعر في قضاء بعض حوائجهم المتعسرة»، وكان ذلك سنة ١٩٢٢م، «المغمورون الثلاثة» (ص٦١، ٧٨).

(١) قال الأستاذ مبارك الخاطر: «وهو في جملته ضعيف، وبعضه في نساء معروفات على زمنه، مثلما فعله زملاء له من شعراء الحجاز مع نسوة، مثل: عائشة بنت حسن، وصالحة العسيري، ورقية، ومليحة شيره، وفاطمة بنت محمد» (ص٧٦).

(٢) شخصيَّات ذات وجاهة أو سيادة أغلبها من أهل الحجاز والبحرين من الأمراء والشعراء والأعيان والشعراء.

مع الفتوحات المكّيّة، وقرّضها العلّامة عبد الجليل برادة المدني، أولها:

بِسْمِ الجليلِ الوَاحدِ المَنَّانِ   أبدي الثَّناءَ بغَايةِ الإذْعانِ
وكَذا أُثْني في المَزيدِ بِحمْدِهِ   وبِشُكْرِهِ المَشْمُولِ بالإحْسانِ

وآخرها:

واقبلْ عُبيدَ المُحْسنِ بنِ محمَّدٍ   وامنحْهُ بالإكْرامِ والإمْنانِ
واسْمح لهُ ولوالدَيهِ برَحْمَةٍ   والمسْلمينَ وسائِرِ الجيْرانِ
والسَّامعينَ قريْبهَمْ وبعيْدَهُمْ   والغائبينَ وجُمْلةَ الخِلّانِ

٢ ـ «سَلامٌ على البَحرَيْن»:

بحر الطويل، وعدد أبياتها (١٦) بيتًا[1]، ومطلعها:

سَلامٌ على البَحرَيْنِ ما ذرَّ شَارقٌ   منَ النُّور منِ فجرِ المُحَرَّقِ والديرِ
مرَابِعُ قومٍ يَغْمرُ الجُوْدُ عندهُم   نَزيْلَهُمُو والمستجيْرَ منَ الفقْرِ

٣ ـ «مِيْمِيَّة الصَّحَّاف في البُوعِيْنَيْن»:

بحر البسيط، وعدد أبياتها (٢٩)[2]، ومطلعها:

يا مطربَ الحيِّ أنشِدْنا بتَنغيْمِ   ولا تُعِر لعَذُولٍ أذْنَ مَتْهوْمِ
وسَلْنِيَ عنْ نقراتِ الدُّف تَلقَ بهِ   رأيَ المشايخِ في حِلٍّ وتحريمِ
ففي الحجازِ مباحٌ بعضُهُ وكذَا   بمَوْطنيْ من ذُرَى البَحرَينِ مَعْلومِ

---

(١) كما هو عند الأستاذ مبارك الخاطر.

(٢) كما هو عند الأستاذ مبارك الخاطر.

٤ ـ «بِلادي مَجْمَعَ البَحرَيْن»:

بحر الوافر، وعدد أبياتها (٢٧)[1]، ومطلعها:

رأيتُكَ تبتغِيْ ذكرًا جميلًا   وخيرًا وافرًا فادعُ الجليْلا
وكنْ منْ عابِدِيهِ بجُنْحِ ليلٍ   ولا تَكُ في عبادتِهِ بخيْلا

٥ ـ «فتحُ طَيْبَةَ الغَرَّاءِ في انتصِارِ بَنِي الزَّهْراءِ»:

بحر الكامل، وعدد أبياتها (٦٩) بيتًا، مدح بها شريف مكة حسين بن علي (ملك الحجاز سنة ١٣٣٧هـ)، ومطلعها:

بُشراكَ نِلتَ الفوزَ يا ابنَ محمَّدٍ   ما بعدُ بلدةَ أحمدٍ منْ مقصدِ
يا قدوةَ العُربِ الفِخَامَ وخَيرَ منْ   بلغتْ أرومتَهُمْ كمالَ السُّؤددِ
يا أيُّها الملكُ (الحسينُ) ومنْ رقَى   رُتَبَ الفَخَارِ بفضْلِهِ المُتَفَرِّدِ

٦ ـ «القَصِيدةُ الهَاشِمِيَّة الدِّمَشْقِيَّةِ»:

بحر البسيط، وعدد أبياتها (٥٦) بيتًا، مطلعها:

دامتْ تُحيِّيك بالفتحِ المَسرَّاتِ   وقدْ تلَتْها منَ النَّصرِ البِشَاراتُ
فاهْنأ فإنَّ دِمشْقَ الشَّامِ قدْ ملكتْ   بمنْ لهُ في عِدَاتِ الدِّينِ سَطْوَاتُ

٧ ـ «يا بَنِي العُرْبِ هَلُمُّوا واهْجُموا»:

بحر الوافر، وعدد أبياتها (١٩) بيتًا، مطلعها:

يا بَنِي العُربِ هلُمُّوا واهجُمُوا   ليسَ يأتي المَوتُ إلَّا بالأَجَلْ
نجمُ فخري[2] وجمالٌ قدْ أَفَلْ   واخْتَفَى جَيْشُهُما بلْ واضْمَحَلْ

---

[1] كما هو عند الأستاذ مبارك الخاطر.

[2] عمر فخر الدين بن محمد ناهد بن عمر المشهور بفخري باشا، وهو آخر =

٨ ـ «جَنَتْ عَلى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ»:

من بحر الكامل، وعدد أبياتها (٣٧) بيتًا، مطلعها:

بحثَ العُداةُ بظلفهِم عنْ حَتفِهِم   وتَبَاهَتُوا في حَوْمةِ الهَيْجَاءِ
طَحنتْ رحَى الحرْبِ الضَّرُوسِ   طَحنَ الحُبوبِ بساحةِ الحُلفَاءِ

نماذج من أشعاره القصيرة الكثيرة المتناثرة

في الحكمة والموعظة: [بحر الوافر]

تموتُ الأسدُ في الغاباتِ جوعًا   وتأكلُ ما اشتهتْ عورُ الذئابِ
وتمكثُ بالطوى زمنًا طويلًا   ولحمُ الطيرِ يُطرحُ للكلابِ
وخنزيرٌ ينامُ على فراشٍ   تنعَّمَ بالحريرِ المستطابِ
وذوْ جهلٍ ينامُ على سريرٍ   وذوْ أدبٍ ينامُ على التُّرابِ

وله: [بحر البسيط]

قوِّضْ خيامكَ عنْ أرضٍ تُعافُ بها   وانزلْ بأرضٍ إليها المجدُ يُنتسبُ
وصاحبِ العزَّ واسلكْ في مسالكهِ   وجانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يُجتنبُ
وارحلْ إذا كانتِ الأوطانُ منقصةً   فالنقصُ في القدرِ فيهِ يرخص الذهبُ
واظعنْ إذا لم تجدْ للمسكِ مُشتريًا   فالصَّندلُ الرَّطبُ في أوطانهِ حَطَبُ

وله: [بحر الطويل]

إلى كم مقامي في بلادِ معاشرٍ بها   يرومُ إساءتي وهَجْوِي شبابُها

= أمراء العثمانين على المدينة المنورة، توفي باستنبول في ٣ تشرين ١٩٤٨م، عن عمر يناهز ٧٩ عامًا.

فتعسًا لدارٍ لم تَصُنِّي وأرضها   تَساوَى بها أبناؤُها وكلابُهَا
وقلدتْها الدُّرَّ الثمينَ وإنهُ   بجيدِ خنازيرٍ تناهى حسابها
فواهًا لعقدٍ لا يُسامُ وإنَّه   لعمركُ شيءٌ أنكرتْه رقابُهَا
وما ضاقتِ الدُّنيا على ذي مُروءةٍ بها   وليسَ السَّما بالقطرِ شحّ سحابُهَا
ولا أغلقتْ أبوابها دونَ داخلٍ   ولا هوَ مسدودٌ عليهِ رحابُهَا
فقدْ بشَّرتني بالسَّعادةِ همَّتي   وفخَّمنِي بينَ العزيزِ خطابُهَا
لقدْ حذَّرتْنِي منْ هواني سَجِيَّتي   وجادَ منَ العلياءِ نحوي كتابُهَا

وله: [بحر الطويل]

لعمركَ هلْ تُرجَى حياةٌ لِأُمَّةٍ   وعزٌّ كما قدْ كانَ بالأمرِ ماضِيَا
وكيفَ يُرجَى الآنَ إصلاحُ أمَّةٍ   إذا كانَ فردُ القومِ باللَّهوِ لَاهِيَا
وهلْ يرجعُ المجدُ القديمُ ليَعْرُبٍ   ويحيَى زمانًا بعدما صارَ باليَا
فهلْ تتسنَّى من حياةٍ لميِّتٍ   وإنَّ شِعَارَ العُرْبِ أنْ لا أُبَالِيَا

وله: [بحر البسيط]

فدعني ونفسيْ والعفاف فإنَّني   عن النَّاسِ منْ فضلِ المهيمنِ مُغتنِي
فلوْ يدعُني كِسرَى إلى مُلكهِ فقدْ   جَعَلتُ حيائِي في حياتيَ ديدَنِي
وأصعبُ منْ قطع اليمين على الفتى   جنايته حُرًّا إساءةُ مؤْمنِ
وأنكَى على القلبِ السليمِ تأثُّرًا   صنيعةُ بِرٍّ نالها منْ يدي دني

وفي الغزل: [بحر الخفيف]

يا مِلاحُ الزَّمانِ رقُّوا لحالي   وامنحوني منكمْ بنيلِ وِصالي

طالما بتُّ أنظمُ الشِّعرَ ليلًا   عندَ تذكاركُم كنظمِ اللآلي
وأغنى بهِ وأرجو بأنْ قدْ   تسمحوا لي ولو بطيفِ خيالي
أنا أهوَى المِلاحَ دهرًا وقلبي   طامعٌ في وصالِ كلِّ غزالِ
ودوائي إذا تعاظمَ دائي   لَثْمُ ثَغْرٍ ورَشْفُ خمرٍ حَلالِ
ما لداءِ الهوَى سِوَى ذاكَ طِبٌّ   للمَشُوْقِ السَّقيمِ بعدَ اعتدالِ

وفي الألغاز اللفظية والتلاعب بالجناس في اللفظ والمعنى:

[بحر المتقارب]

خليليَّ إنْ جئتُما منزلي   ولم تجداهُ فروحًا فـ (روحا)(١)
وإنْ زُرتما رحبه دائمًا   ولم تجداه فسيحًا فـ (سيحا)(٢)
وإنْ رُمتما منطِقًا منْ فمِي   ولم تعلمَاهُ فلوحًا فـ (لوحَا)(٣)
وإنْ لكما قلتُ قولًا يفيدُ   ولم تسمعاهُ فصيحًا فـ (صيحَا)(٤)

---

(١) فروحًا الأولى: بمعنى مفرحًا، وفروحا الثانية: فعل أمر بمعنى غادرا واتركاه. (الخاطر).

(٢) فسيحًا الأولى: بمعنى واسعًا رحبًا، وفسيحًا الثانية: فعل أمر بمعنى سيحا في غيره واتركاه. (الخاطر).

(٣) فلوحًا الأولى: بمعنى الفلاح والنجاح، وفلوحًا الثانية: فعل أمر بمعنى أيضا اتركاه. (الخاطر).

(٤) فصيحًا الأولى: بمعنى بليغًا واضح الإبانة، وفصيحًا الثانية: فعل أمر أيضًا بمعنى الصياح. (الخاطر).

وغيرها من القصائد والأشعار المتفرِّقة والمبعثرة، لعلَّ الله أن يهيِّئ لها من يجمع مُتَنَاثِرَهَا، ويَنْظِمَ مُتَفَرِّقَهَا.

وفاته:

توفي رحمه الله في ٢٤/ذي القعدة/ ١٣٥٠هـ(١)، بمكَّة المكرَّمة.

❑ ❑ ❑

---

(١) كما ذكره الزركلي في «الأعلام» (٤/ ١٥٣) عن أحمد بن خليفة النبهاني.
وذكر الأستاذ مبارك الخاطر أنه توفي سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، «المغمورون الثلاثة» (ص٦٢)

لامية البَحرَيْن

أولًا: اللاميَّات:

هناك عدَّة قصائد لاميَّة اشتهرت، لكنَّ أشهرها على الإطلاق «لاميَّة الشَّنْفَرَى»(١)، وبعدها «لاميَّة الطُّغْرَائي»(٢)، وتُعدُّ من أروع قصائده، وتأتي بعدهما «لاميَّة ابن الوردي» المسمَّاة بـ«نصيْحةُ الإخْوانِ ومُرشدةُ الخلَّانِ»(٣)، وتسمية لاميَّة الشَّنْفَرَى بـ«لاميَّة العرب» ولاميَّة الطُّغْرَائي بـ «لاميَّة العجم»(٤) لم تكن من وضع قائليها، فالشَّنْفَرَى لم يسمِّ قصيدته بـ«لاميَّة العرب» ولا الطُّغْرَائي،

---

(١) هو لقب له، واسمه عمرو بن مالك الأزدي (المتوفى نحو ٧٠ قبل الهجرة)، والشنفرى: البعير الضخم. وقيل: عظيم الشفتين.

(٢) بضم الطاء المهملة، وسكون العين المعجمة، وفتح الراء، نسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطُّرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، وتتضمن نعوت الملك وألقابه، وهي لفظة أعجمية. واسمه: مؤيد الدين الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد الطغرائي الأصبهاني (ت٥١٤هـ، وقيل ٥١٥هـ).

(٣) لأنها حظيت باهتمام العلماء والشعراء حفظًا وشرحًا وتعليقًا.

(٤) والأثر الذي يذكر شرَّاح اللاميَّة كصاحب «الغيث المسجم» (١/ ٣٧)، و«رشف الضرب» (ص٧٠)، و«سكب الأدب» (ص٨٩)، وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «علموا أولادكم لاميَّة العرب، =

ولكن هذه التَّسميات وضعت ـ والله أعلم ـ من قِبل بعض العلماء والشُّعراء للتَّمييز والتَّفريق بينها وبين غيرها من اللَّاميَّات، لاسيَّما لمَّا كثرت وتزاحمت هذه القافية في القصائد(١).

ولكن لماذا سمِّيت «لاميَّة العرب» و«لاميَّة العجم»؟

لم يظهر لي سببٌ وجيهٌ، غير أنَّ صاحب القصيدة الأولى من العرب من بني أزد، وصاحب القصيدة الثَّانية من العجم، وكأنَّ الأولى من مفاخر العرب، فكانت الثَّانية من مفاخر العجم.

وأتى الصَّحَّاف أيضًا ليفاخر بلاميَّة الَّتي نظمها والَّتي عارض بها(٢) «لاميَّة الطُّغْرَائي»، وقابل تسمية «لاميَّة العجم» باسم «لاميَّة البَحرَيْن»، وفي ذلك يقول:

لاميَّة العَجْمِ تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا وَإِنَّ لاميَّة البَحرَيْنِ تَشْهَدُ لي

= فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق»، فلم أجده مسندًا ولا غير مسندٍ في الكتب المعتمدة، وبعض الكُتَّاب يرفعه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا خطأ.

(١) كلاميَّة امرئ القيس، ولاميَّة الأعشى، ولاميَّة كعب بن زهير، ولاميَّة حسان بن ثابت، ولاميَّة أحيحة بن الجلاح، ولاميَّة الحطيئة، ولاميَّة الأخطل، ولاميَّة القطامي، ولاميَّة المتنبي، ولاميَّة أبي العلاء المعري، ولاميَّة ابن المقري، ولاميَّة الصفدي، ولاميَّة اليعقوبي الموريتاني، وغيرها.

(٢) المعارضة الشعرية: هي محاكاة الشاعر لقصيدة أخرى في الموضوع والوزن والقافية.

ثانيًا: قافية اللام:

القافية الَّتي رَويُّها حرف اللَّام هي قافية سهلة، يكثر الشُّعراء من استعمالها، وذلك لكثرة مفرداتها الَّتي تتناسب معها، بعكس القوافي الَّتي تنتهي بحرف: الضَّاد والظَّاء والغين والخاء، وهي قوافٍ يتحاشاها الشعراء.

يقول الخليل بن أحمد: «قال الخليل: «اعلم أنَّ الحروف الذُلْقَ والشَّفويَّة ستَّة وهي: (ر، ل، ن، ف، ب، م)، وإنَّما سمِّيت هذه الحروف ذُلْقًا؛ لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشَّفتين. . . » إلى أن يقول: «فلمَّا ذَلَقَتِ الحروف السِّتَّة، ومَذَلَ بهنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام»(١).

ويقول ابن منظور: «اللَّام من الحروف المجهورة، وهي من الحروف الذُّلُق. . . » إلى أن يقول: «وقد ذكرنا كثرة دخول الحروف الذُّلُق والشَّفويَّة في الكلام»(٢).

ثالثًا: لاميَّة الصَّحَّاف:

«لاميَّة البَحرَيْن» هي لاميَّة عارض بها ناظمها «لاميَّة العجم» للطُّغْرَائي. وهي من البحر البسيط، وعدد أبياتها اثنان وتسعون بيتًا، كما نصَّ على ذلك في آخرها:

لامِيَّةَ العَجْمِ تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا وَإنَّ لامِيَّةَ البَحرَيْنِ تَشْهَدُ لي
أَبْيَاتُهَا اثْنَانِ مَعْ تِسْعِيْنَ قَدْ حُسِبَتْ فَكُنْ لَهَا حَافِظًا وَابْذُلْ دُعَاءَكَ لي

---

(١) كتاب «العين» لخليل بن أحمد، طبعة إيران (١/ ٥٣).

(٢) «لسان العرب» ابن منظور، طبعة دار صادر (٣/ ٤٣).

وقد نظمها قبل عام ١٣٢٥هـ.

وأمَّا الكلام عن تحليلها ودراستها علي فإنَّني أقتصر على ما كتبه الأستاذ مبارك الخاطر، ولعلِّي إن وجدتُ فُسحةً في الوقت وبقيَّةً في العمر وهمَّة في النَّفس ونشاطًا في الجسد أنْ أتفرَّغ لدراسة هذه القصيدة مع شرحها مفصَّلًا.

قال المؤرخ الأديب مبارك الخاطر(١):

قصيدة الصَّحَّاف «اللاميَّة» فهي لاميَّته المشهورة، الَّتي أطلق عليها هذا الاسم، حيث قال في أواخرها:

لامِيَّةَ العَجْمِ(٢) تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا   وَإنَّ لامِيَّةَ البَحرَيْن تَشْهَدُ لي
أَبْيَاتُهَا اثْنَانِ مَعْ تِسْعِيْنَ قَدْ حُسِبَتْ   فَكُنْ لَهَا حَافِظًا وَابْذُلْ دُعَاءَكَ لي

ورغم إطلاق الصَّحَّاف على «لاميَّته» اسم «البَحرَيْن» فإنَّه لم يأت فيها ـ على طولها ـ ببيتٍ واحدٍ فيه ذكر لـ«البحرين»(٣)، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

وفيما عدا مقدِّمة «اللاميَّة» التَّقريريَّة الَّتي يمثلها بيتا مطلعها،

---

(١) «المغمورون الثلاثة» (ص٧٢).

(٢) الشاعر يعني بذلك لاميَّة العجم لبهاء الدين الأصفهاني الملقب بالطغرائي، ومطلعها:

الجد في الجد والحرمان في الكسل   فانصب تصب عن قريب

(٣) وهذا عجيب من الأستاذ الخاطر، فإن الصحاف يقول:

لامِيَّةَ العَجْمِ تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا   وَإنَّ لامِيَّةَ البَحرَيْن تَشْهَدُ لي

ولا يلزم الناظم من أن يذكر ذلك؛ فإن لاميَّة العرب المنسوبة للشنفرى لم يسمِّها الشنفرى، وكذا لاميَّة العجم للطغرائي أيضًا لم يسمِّها لاميَّة العجم.

فإنَّ بقية أبياتها التِّسعين يكاد يتقاسم بداياتها حرفان، الأوَّل: ألف الأمر، والثَّاني: أداة الشَّرط «مَنْ»، واللاميَّة في مجملها كعشرات اللاميَّات في الشِّعر العربي قديمًا وحديثًا، تتَّسم بتقديم التَّوجيهات الخيريَّة، والإرشادات التَّصويبيَّة، الَّتي يقدِّم فيها صاحبها تجربته وخبرته في الحياة.

إنَّ القارئ لـ«لاميَّة» الصَّحَّاف لَيَشْعر بسَعَة الخلفيَّة الفكريَّة والثقافيَّة والعلميَّة الَّتي يتمتَّع بها صاحبها، وكذلك إحاطته بتجارب من سبقه من مرشدين وقياديِّين مصلحين، مستفيدًا في ذلك بتوجيهات الكتاب والسُّنَّة ومُترسِّمًا خطوات من سبقه أيضًا من العلماء والمصلحين والمجدِّدين، يقول في «لاميَّته»:

وَاسْتَفْتِ قَلْبَكَ في أَمْرٍ عَزَمْتَ بِهِ ... وَلَا تُشَاوِرْ عَدِيْمَ الرَّأْيِ في عَمَلِ
وَارْعَ الجِوَارَ وَلَا تَنسِ الجَمِيْلَ وَلَوْ ... طَالَ المَدَى وَاخْشَ مَنْ أَعْدَاكَ عَنْ كَمَلِ

إلى أن يقول:

وَكُنْ لِغَيْظِكَ دَوْمًا كَاظِمًا وَأَنِلْ ... مَنْ قَدْ رَجَاكَ وَلَا تَقْطَعْهُ مِنْ أَمَلِ
وَاغْنَمْ سُرُوْرَكَ إِنْ أَدْرَكْتَ سَاعَتَهُ ... وَتُبْ عَنِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ انْقِضَا الأَجَلِ
وَلا تَحُمْ يَا أَخِي حَوْلَ الحِمَاءِ(١) فَمَنْ ... قَدْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى لَمْ يَنْجُ مِنْ زَلَلِ

وهو حين يفتتح «لاميَّته» وبعد بيتَي ديباجتها، يأتي مباشرةً على ذكر العلم وفضله، ويحثُّ على طلب النَّافع منه، ولكنَّه يستثني منه

---

(١) في المخطوط (الحمى)، ولعل الصواب كما أثبتناه (الحماء) للوزن، والحمى بالقصر وفي لغة بالمد، وكلاهما جائز.

أنواعًا ثلاثةً، هي: علم النُّجوم، وعلم الكيمياء، والجدل؛ يقول:

وَكُلَّ عِلْمٍ تَعَلَّمْهُ بِمَعْرِفَةٍ   إِلَّا ثَلاثًا فَلا تَعْبَأْ بِهَا وحُلِ
عِلْمَ النُّجُوْمِ، وَعِلْمَ الكِيْمِيَاءِ مَعًا   كَذَا الجِدَالُ بِسُوْءِ الجَهْلِ وَالخَطَلِ
فَالشُّؤْمُ في النَّجْمِ إنْ أَدَّى إلى كَذِبٍ   وَخَالَفَ الشَّرعَ مِثْلَ الرَّصْدِ في زُحَلِ
وَالكِيْمِيَاءُ بِهَا الإفْلَاسُ مُقْتَرِنٌ   فَخُذْ مَقَالِيَ وَارْفُضْ فَاسِدَ الجَدَلِ

وليس معنى ذلك أنَّ الصَّحَّاف يعارض علوم الفلك ومعرفة النُّجوم والاكتشافات الخاصَّة بها، فهذا العلم في حدِّ ذاته علمٌ عربيٌّ إسلاميٌّ، والمسلمون يعتمدون عليه باستمرار حتَّى اليوم وإلى الأبد، باستخدامه في تدينهم وعباداتهم عبر ما يعرف بـ«علم المواقيت».

إنَّ ما يعنيه الشَّاعر هنا هو ممارسات التَّنجيم المفضي إلى الرَّجم بالغيب، الذي يزاوله المنجِّمون، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **«كذب المنجمون ولو صدقوا»**(١).

---

(١) ليس بحديث، وإنما هي مقولة اشتهرت على ألسنة الناس، ومعناه صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية، صناعة محرمة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر وغيره: الجبت السحر».

أمَّا علم الكيمياء الذي ينهى الشَّاعر عن تعلُّمه حسب مفهومه فهو ذلك المختص بالممارسات التَّدليسيَّة، الَّتي منها: تجارب تحويل المعادن الرَّديئة إلى معادن كريمة، مثل: تحويل خام الحديد إلى ذهب، كما كان معروفًا بصورٍ محدَّدةٍ، وبطرق ملتوية خلال القرون الوسطى.

أمَّا حين ينهى الشَّاعر عن الجدال، فإنَّه يعني ذلك الجدال الذي لا طائل منه، وخاصَّة إذا كان بين جهلاء أنانيين أو مستكبرين متنافسين.

وعلى العموم فإنَّ الإمعان في الجدل يورث فُشُوَّ البغضاء والشَّحناء بين المتجادلين، لقد قال رسول الله ﷺ: «**ما أوتي قوم الجدل إلَّا هلكوا**»(١).

ثمَّ يدخل الشَّاعر من خلال «لاميَّته» في مجال صوغ الإرشادات السُّلوكيَّة النبويَّة الكريمة، من رعاية الجار، وإظهار السُّرور والبِشر في اللقاءات الإنسانيَّة، من كظم الغيظ، والدَّعوة إلى اغتنام أوقات السُّرور،

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وفي الموضوع عدَّة أحاديث، فمنها: عن أبي أمامة قال: قال ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل**» رواه الترمذي (رقم: ٣٢٥٣)، وابن ماجه (رقم: ٤٨). وفي الحديث: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم**» رواه البخاري (رقم: ٧١٨٨). والألد الخَصِم: الدائم الخصومة. وفي الحديث: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا**» رواه أبو داود (رقم: ٤٨٠٠)، والترمذي (رقم: ١٩٩٣).

ولكنَّ الشَّاعر في نفس الوقت يحذِّر من التَّمادي في ممارسة المحرَّمات، وأنَّ من الواجب على مقارفيها قطع ذلك بالتَّوبة عنها نهائيًّا.

ولا يفوت الشَّاعر الصَّحَّاف أنْ يُعطي رأيه في مجمل مواقف الإنسان ـ أيَّ إنسان ـ حيال تصرُّفات الآخرين المتباينة في الحياة الاجتماعيَّة، مثل: أنْ يقف الإنسان موقفًا يعرِّض فيه نفسه لتُهَم لم يجنها ولم يقربها، كارتياد مواطن الفساد والانحلال، أو ما يشوب سلوكه القويم من تصرفات سيِّئة؛ يقول الصَّحَّاف في هذا المجال:

وَلا تَقِفْ مَوْقِفًا تُنْمَى لَهُ تُهَمٌ   بِهَا تُسَاءُ وَتُلْقَى في سَلَا جَمَلِ
وَلا تَثِقْ بِكَذُوْبٍ خَاسِرٍ أَبَدًا   مِثْلَ السَّرابِ كَثِيْرَ المَكْرِ وَالحِيَلِ
وَارْشِقْ سِهَامَ صَوَابٍ في الكَلامِ وَلا   تَعْبَأَ بِفَدْمٍ جَهُوْلٍ بِالغُرُوْرِ بُلِي

ويستمر الشَّاعر ـ من خلال «لاميَّته» ـ في خطابه إلى الآخرين محدِّدًا لهم نظامًا للاستشارة والاستئناس بآراء الآخرين، فينهى عن استشارة سبعة أصناف من البشر، وهم: الجاهل، والحسود، والمرائي، والجبان، والبخيل، وذي العداوة، والذي لا دين له، فيقول:

وَسَبْعَةً لا تُشَاوِرْهُمْ إذَا حَضَرُوا   ذُوْ الجَهْلِ، ثُمَّ حَسُوْدٌ غَيْرُ مُنْتَقِلِ
كَذَا المُرائِي، جَبَانٌ، وَالبَخِيْلُ، وَذُوْ   عَدَاوَةٍ، وَهَوًى(١) يُرْدِيْكَ بِالفَشَلِ
مَهْمَا اسْتَطَعْتَ تَجَنَّبْ رَأْيَهُمْ(٢) فَهُمُو   كَمْ قَدْ أَسَاؤُوا سَلِيْمَ القَلْبِ بِالخَلَلِ

---

(١) في المخطوط (وهوىً قد)، وعند الخاطر (وهو قد)، ولعل الصواب ما أثبتناه ليستقيم الوزن والمعنى.

(٢) (دينهم) الخاطر.

وَغَرْبِلِ النَّاسَ وَانْخُلْهُمْ بِتَجْرِبَةٍ   وَكُنْ فَتَىً صَيْرَفِيَّ النَّقْدِ ذَا وَهَلِ
فَالنَّاسُ أَجْنَاسُ فَاخْتَرْ مَنْ تُخَالِلُهُ   مِنْهُمْ كَمَا قَدْ رُوِيْ عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ
وَاغْرِسْ بِمَزْرَعَةِ الدُّنْيَا لِآخِرَةٍ   غَرْسًا حَوَى ثَمَرًا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ
وَاحْذَرْ عَوَاقِبَ أَمْرٍ قَدْ جُنِنْتَ(١) بِهِ   وَلَم تُفَكِّرْ بِمَا يَأْتِي مِنَ العَذَلِ

كذلك لا يفوّت الشَّاعر أنْ يُعطي رأيه في سياقات التَّعابير اللفظيَّة التي يحضُّ فيها على الإتيان بالحجَّة البالغة الصَّائبة في الدِّفاع عن الرَّأي، أو لدَحْض آراء الآخرين، يقول:

وَارْشِقْ سِهَامَ صَوَابٍ في الكَلامِ وَلا   تَعْبَأْ بِفَدْمٍ جَهُوْلٍ بِالغُرُوْرِ بُلِي
وَلا تُجَاوِبْ سَفِيْهًا في مُشَاتَمَةٍ   تَكُنْ نَظِيْرًا لَهُ في الوَصْفِ وَالمَثَلِ

ثمَّ ينتقل الصَّحَّاف في «لاميَّة البَحرَيْن» إلى أبياتها المفتتحة بأداة «مَنْ» الشَّرطيَّة، وهي أبيات تصل إلى (٢٦) بيتًا، يفتتحها بقوله:

مَنْ يَصْنَعِ العُرْفَ يُجْزَى(٢) مِنْ عَوَاقِبِهِ   ثَوَابَ فَضْلٍ مَدَى الأَوْقَاتِ لم يَزَلِ
مَنْ ذَمَّ ذُمَّ وَأَمْسَى عِرْضُهُ هَدَفًا   لِكُلِّ رَامٍ بِسَهْمِ الجِدِّ مُحْتَفِلِ

إلى أنْ يقول مشيرًا إلى بعض طبائع الحيوان الشَّرسة، بل وحتَّى الأليفة، منها:

مَنْ لَاعَبَ القِطَّ سَاءَتْهُ أَظَافِرُهُ   وَالقِطُّ يُمْزَحُ مَعْهُ مَزْحَ مُعْتَدِلِ
مَنْ أَطْعَمَ الحَيَّةَ الرَّقْطَاءَ مُحْتَفِلًا   بِهَا أَذَاقَتْهُ طَعْمَ المَوْتِ بِالخَتَلِ(٣)

---

(١) في المخطوط (جنيت)، ولعل الصواب (جننت) كما عند الخاطر.

(٢) يجوز رفع المضارع الواقع جوابًا للشرط.

(٣) (النار) المخطوط. الختل: الاحتيال في الخفاء.

بعد ذلك يتوجَّه الشَّاعر إلى قارئه بتوجيهات أخلاقيَّة عظيمة، فيقول:

وَكُنْ لَدَى مَنْ أَتَى يَدْعُوْكَ أَسْرَع مِنْ   بَرْقٍ وَأَصْبَرَ لِلأَثْقَالِ مِنْ جَمَلِ
وَفِيَّ وَعْدٍ شَهِيْرًا كَالسَّمَوْأَلِ في   حُسْنِ الوَفَاءِ وَأَرْمَى مِنْ بَنِي ثُعَلِ(١)
مُلاطِفًا، أَلْمَعِيًّا، حَاذِقًا، فَطِنًا   أَرْوَى مِنَ الكُتْبِ في عِلْمِ الكَلامِ مَلي
مُمَارِسًا، مَاهِرًا، بُقْرَاطَ وَقْتِكَ في   وَصْفِ الدَّوَاءِ وَفي الإِقْدَامِ كَالبَطَلِ
مُلاعِبًا كَرَّةَ الأَيَّامِ مُمْتَطِيًا   مَتْنَ المَعَزَّةِ طَاوِ الرِّجْلَ بِالرَّحَلِ
وَابْدُرْ بُدُورَ عُقَابٍ في قِوَى أَسَدٍ   في صَبْرِ أَيُّوْبَ في كَرِّ الإِمَامِ عَلِي

وأخيرًا لا يفوتنا هنا ونحن بصدد الانتهاء من هذا التحقيق التَّشريحي الموجز لـ «لاميَّة البَحرَيْن» أنْ نعرض لرأي الشَّاعر الصَّحَّاف في «لاميَّته»، حيث يقول في وصفها:

وَاسْمَعْ قَصِيْدَةَ آدَابٍ مُهَذَّبَةٍ   تُغْنِيْكَ عَنْ حَانَةِ(٢) الصَّهْبَاءِ وَالعَسَلِ
أَلْفَاظُهَا كَعُقُوْدِ الدُّرِّ في شَبَهٍ   أَوْدَعْتُهَا حِكَمًا مَتْقُوْنَةَ العَمَلِ

إلى أنْ يقول:

في كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ إنْ تُلِيَتْ   تَكَادُ تَزْهُوْ عَلى الأَتْرَابِ في المِثَلِ
فَإِنْ نَحَوْتَ إِلى إِنْصَافِ مَعْرِفَتِي   بِلا فِخَارٍ وَلا ذَمٍّ وَلا خَلَلِ(٣)
لامِيَّةَ العَجْمِ تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا   وَإِنَّ لامِيَّةَ البَحرَيْنِ تَشْهَدُ لي

❑ ❑ ❑

---

(١) يراجع الخاطر.   (٢) (حاجة) الخاطر.   (٣) (ختل) الخاطر.

وصف النسخ المعتمدة

اعتمدتُ في إخراج هذه المنظومة على نسخة خطِّيَّة وأخرى مطبوعة:

*** الأولى: النُّسخة الخطِّيَّة:**

هي نسخة مكتبة الحرم المكِّي بمكَّة المكرَّمة، وهي ضمن مجموعة عبد الوهَّاب الدِّهلوي، رقم المخطوط (٣٢٩٢)، ج٢، صفحة رقم (١٢٧ ــ ٢٠١)، ويحتوي المجموع على عدَّة قصائد وأشعار طويلة، وأخرى مقاطع شعريَّة صغيرة لمجموعة من شعراء الحجاز المتأخِّرين، تقريبًا من كان في منتصف القرن الرَّابع عشر الهجري وأوائل القرن العشرين الميلادي.

عدد أوراقها خمسة أوراق، كل ورقة تحتوي على (٢٣) بيتًا، لم يكتب عليها تاريخ النَّسخ، ولا اسم النَّاسخ.

عُنْوِن في بدايتها: «**لاميَّة البَحرَيْن للشَّيخ عبد المحسن**»، كتبت بخطٍّ واضحٍ في الغالب إلَّا مواقع بسيطة، وقد تصحَّفت بعض الكلمات، ورمزت لها بـ(المخطوط).

---

(١) الشاعر الأديب والباحث المؤرخ مبارك بن راشد بن جاسم الخاطر، من مواليد مدينة المحرق بالبحرين سنة ١٩٣٥م. كان رحمه الله مهتمًّا =

والنُّسخة المخطوطة قد ألحقها الأستاذ مبارك راشد الخاطر⁽¹⁾ في آخر كتابه الماتع «المغمورون الثَّلاثة»، تحت عنوان «ملحق ببعض الوثائق» (ص١١٣).

كما قام الأستاذ الشَّاعر مبارك عمرو العمَّاري⁽²⁾ ـ جزاه الله خيرًا ـ بإعطائي هذه النُّسخة من المخطوط مع تصويباته وتصحيحاته على المنظومة.

= بجمع الوثائق والمخطوطات والتراجم، وبالأخص المتعلقة بالبحرين، وله عدة إصدارات تاريخية مهمة، منها: «نابغة البَحرَيْن» عبد الله الزايد، و«القاضي الرئيس» (قاسم المهزع)، و«المغمورون الثلاثة»، و«الأديب الكاتب ناصر خيري»، وله ديوان شعري طبع «شيئًا من الإصغاء يا سادة»، وله عدة بحوث ومقالات، وكان عضوًا في عدة جمعيات أدبيَّة وتاريخيَّة، وشارك في عدد من المؤتمرات والمهرجانات، وحصل على عدة أوسمة وجوائز في الأدب والإنتاج الفكري، كانت وفاته يوم الخميس ٥/ محرم/ ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٩/ مارس/ ٢٠٠١م، عن ثمان وستين سنة، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

(١) الشاعر الأديب والباحث المؤرخ مبارك بن عمرو بن محمد العماري الدوسري ـ حفظه الله تعالى ـ. من مواليد مدينة المحرق بالبَحرَيْن سنة ١٩٤٨م، عمل في عدة وظائف حكومية إدارية، عضو في عدة جمعيات أدبيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة، ألَّف عدة مؤلفات أدبيَّة وتاريخيَّة وثقافيَّة، كما أخرج عدد من الدواوين لشعراء البحرين، ومنها «ديوان عبد المحسن الصَّحَّاف»، ولا زال قيد البحث والجمع، وكتب العديد من المقالات والبحوث، وشارك في عدة مؤتمرات ومحاضرات دولية وحصل على عدة أوسمة وجوائز، منها: وسام الكفاءة من الدرجة الأولى.

*** الثَّانية: النُّسخة المطبوعة:**

وهي التي طبعها الأستاذ مبارك الخاطر في ترجمة شاعرنا عبد المحسن الصَّحَّاف في كتابه «المغمورون الثَّلاثة»، وذكر عدَّة قصائد للصَّحَّاف في فصلٍ سمَّاه «نماذج من شعر الصَّحَّاف» (ص٨١)، وفيها بعض التَّصويبات من الأستاذ الخاطر، إلَّا أن بعض التصحيفات بقيت على حالها(١)، ورمزت لها بـ(الخاطر).

كما اعتمدت على الموقع الإلكتروني لـ«معجم الباطين»، لإصلاح بعض الأخطاء.

❑❑❑

---

(١) وتصويبات الأستاذ مبارك العماري جاءت بعد أن أنهيت مراجعة المنظومة وإصلاحها، وله مني جزيل الشكر وفائق التقدير على تفاعله وتعاونه.

منهج العمل

إضافة إلى المقدمة التي ضمَّنتها ترجمة الناظم ودراسةً عن اللامية، فقد عملت على:

١ ـ مقابلة المطبوع على المخطوط، وإثبات الفروق المهمة.

٢ ـ إصلاح الأخطاء العَروضيَّة وإثباتها في الأصل، مع التنبيه في الحاشية.

٣ ـ شرح الكلمات الغامضة والأمثال المذكورة.

❑ ❑ ❑

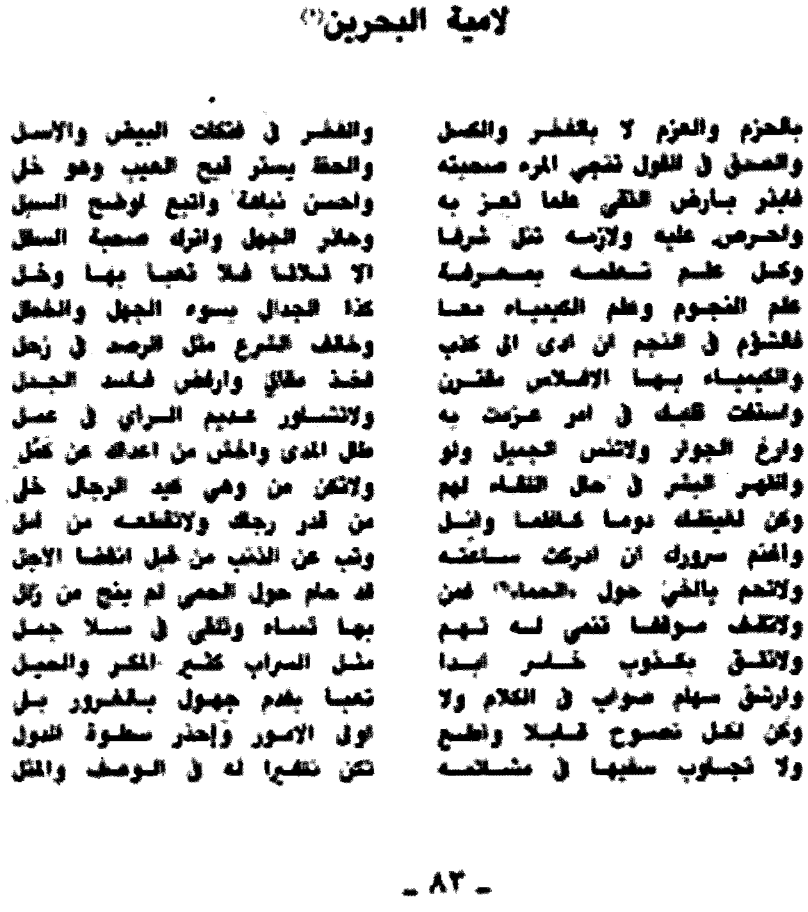

لامية البحرين(١)

بالحزم والعزم لا بالفشر والكسل   والفخر في فتكات البيض والأسل
والصدق في القول تنجي المرء صحبته   والحقد يستر قبح العيب وهو خلي
فابذر بأرض التقى علما تعز به   واحسن نباهة واتبع اوضح السبل
واحرص عليه ولازمه تنل شرفا   وحاذر الجهل واترك صحبة السفل
وكل علم تعلمه بمعرفة   الا ثلاثا فلا تعبأ بها وخل
علم النجوم وعلم الكيمياء معا   كذا الجدال بسوء الجهل والخطل
فالشؤم في النجم ان ادى الى كذب   وخالف الشرع مثل الرصد في زحل
والكيمياء بها الافلاس مقترن   فخذ مقالي وارفض فاسد الجدل
واستفت قلبك في امر عزمت به   ولاتشاور عديم الراي في عمل
وارع الجوار ولاتنس الجميل ولو   طال المدى واخش من اعدائك عن كمَل
واقهر البشر في حال القتال لهم   ولاتكن من وهي كيد الرجال خلي
وكن لخليلك دوما كاتما وأنل   من قدر رجالك ولاتقطعه من امل
واكتم سرورك ان ادركت ساعته   وتب عن الذنب من قبل انقضا الأجل
ولاتحم بالغي حول «الحمى(٢)» فمن   له حام حول الحمى لم ينج من زلل
ولاتكلف صروفا تنمي له تهم   بها تساء وتلقى في سلا جمل
ولاتثق بكذوب خاسر ابدا   مثل السراب كثير المكر والحيل
وارشق سهام صواب في الكلام ولا   تعبأ بقدم جهول بالغرور بلي
وكن لكل نصوح قابلا واطع   اولي الامور وإحذر سطوة الدول
ولا تجاوب سفيها في مشاكله   تكن نظيرا له في الوصف والمثل

- ٨٣ -

الصفحة الأولى من اللاميَّة (المطبوعة)

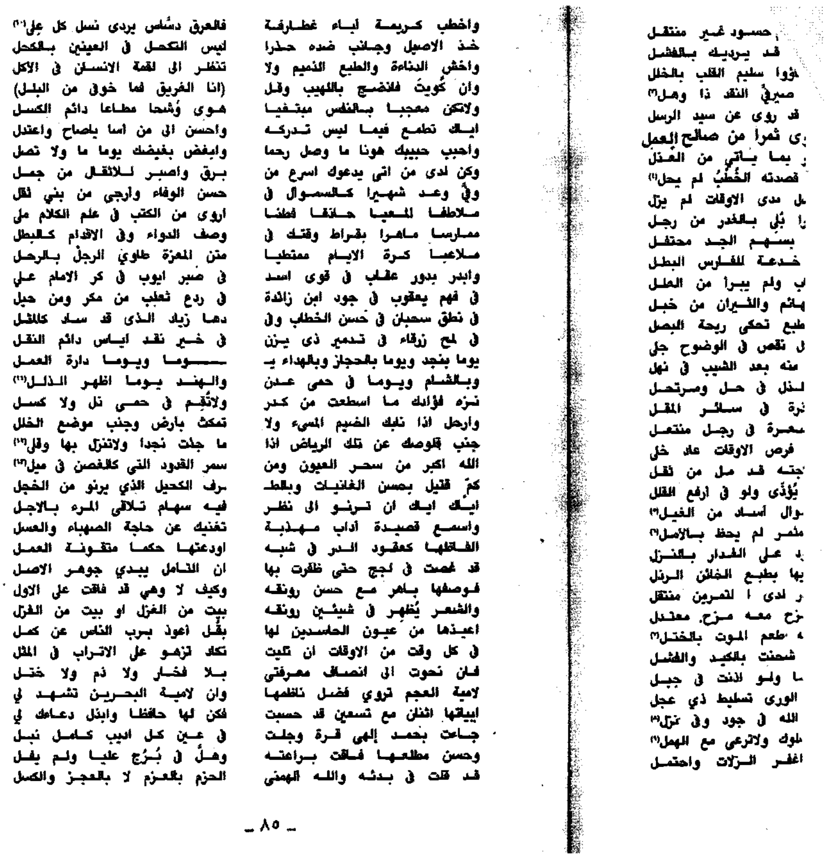

حسود غير منتقل
قد يرديك بالفشل
ذوا سليم القلب بالخلل
صيرفيّ النقد ذا ومل(٣)
قد روى عن سيد الرسل
ى ثمرا من صالح العمل
بما يأتي من العذل
قصدته الخُطُبُ لم يحل(٤)
ل مدى الاوقات لم يزل
بُلي بالغدر من رجل
بسهم الجد محتفل
خدعة للفارس البطل
ب ولم يبرأ من العلل
بهائم والثيران من خبل
طبع تحكي ريحة البصل
ل نقص في الوضوح جلي
منه بعد الشيب في نهل
لذل في حل ومرتحل
نرة في سائر المقل
معرة في رجل منتعل
فرص الاوقات عاد خلي
جته قد مل من ثقل
يُؤذي ولو في ارفع القلل
وال أساد من الغيل(٥)
مثمر لم يحظ بالأمل(٦)
على الغدار بالنزل
بها بطبع الخائن الرذل
ر لدى ا لتمرين منتقل
زح معه مزح معتدل
طعم الموت بالختل(٧)
شحنت بالكيد والفشل
ا ولو انت في جبل
الورى تسليط ذي عجل
الله في جود وفي نزل(٨)
لوك ولاترعى مع الهمل(٩)
اغفر الزلات واحتمل

واخطب كريمة لباء غطارفة   فالعرق دسّاس يردى نسل كل علي(١٠)
خذ الاصيل وجانب ضده حذرا   ليس التكحل في العينين بالكحل
واخش الدناءة والطبع النميم ولا   تنظر الى لقمة الانسان في الاكل
وان كُويتَ فانضج باللهيب وقل   (انا الغريق فما خوفي من البلل)
ولاتكن معجبا بالنفس مبتغيا   هوى وُشحا مطاعا دائم الكسل
اياك تطمع فيما ليس تدركه   واحسن الى من اسا باصلاح واعتدل
واحبب حبيبك هونا ما وصل رحما   وابغض بغيضك يوما ما ولا تصل
وكن لدى من اتى يدعوك اسرع من   برق واصبر للاثقال من جمل
وفِّ وعد شهيرا كالسموال في   حسن الوفاء وارجي من بني ثعل
ملاطفا للمعيا حاذقا فطنا   اروى من الكتب في علم الكلام ملي
ممارسا ماهرا بقراط وقتك في   وصف الدواء وفي الاقدام كالبطل
ملاعبا كرة الايام ممتطيا   متن المعزة طاوي الرجل بالرحل
وابدر بدور عقاب في قوى اسد   في صبر ايوب في كر الامام علي
في فهم يعقوب في جود ابن زائدة   في ردع ثعلب من مكر ومن حيل
في نطق سحبان في حَسن الخطاب وفي   دها زياد الذي قد ساد كالمثل
في لمح زرقاء في تدمير ذي يزن   في خبر نقد اياس دائم النقل
يوما بنجد ويوما بالحجاز وبالهداء يـ   ــــوما ويوما دارة العمل
وبالشام ويوما في حمى عدن   والهند يوما اظهر الذلل(١١)
نزه فؤادك ما اسطعت من كدر   ولاتقم في حمى ذل ولا كسل
وارحل اذا نابك الضيم المسيء ولا   تمكث بارض وجنب موضع الخلل
جنب قلوصك عن تلك الرياض اذا   ما جئت نجدا ولاتنزل بها وقل(١٢)
الله اكبر من سحر العيون ومن   سمر القدود التي كالغصن في ميل(١٣)
كمّ قتيل بحسن الغانيات وبالطـ   ـرف الكحيل الذي يرنو من الخجل
اياك اياك ان ترنو الى نظر   فيه سهام تلاقي المرء بالاجل
واسمع قصيدة آداب مهذبة   تغنيك عن حاجة الصهباء والعسل
الفاظها كعقود الدر في شبه   اودعتها حكما منقولة العمل
قد غصت في لجج حتى ظفرت بها   ان التامل يبدي جوهر الاصل
فوصفها باهر مع حسن رونقه   وكيف لا وهي قد فاقت على الاول
والشعر يُظهر في شيئين رونقه   بيت من الغزل او بيت من الغزل
اعيذها من عيون الحاسدين لها   بقل أعوذ برب الناس عن كمل
في كل وقت من الاوقات ان تليت   تكاد تزهو على الاتراب في المثل
فان نحوت الى انصاف معرفتي   بلا فخار ولا ذم ولا ختل
لامية العجم تروي فضل ناظمها   وان لامية البحرين تشهد لي
ابياتها اثنان مع تسعين قد حسبت   فكن لها حافظا وابذل دعاءك لي
جاءت بحمد إلهي قرة وجلت   في عين كل اديب كامل نبل
وحسن مطلعها فاقت براعته   وهلّ لي بُرُج عليا ولم يفل
قد قلت في بدئه والله الهمني   الحزم بالعزم لا بالعجز والكسل

ـ ٨٥ ـ

الصفحة الأخيرة من اللاميَّة (المطبوعة)

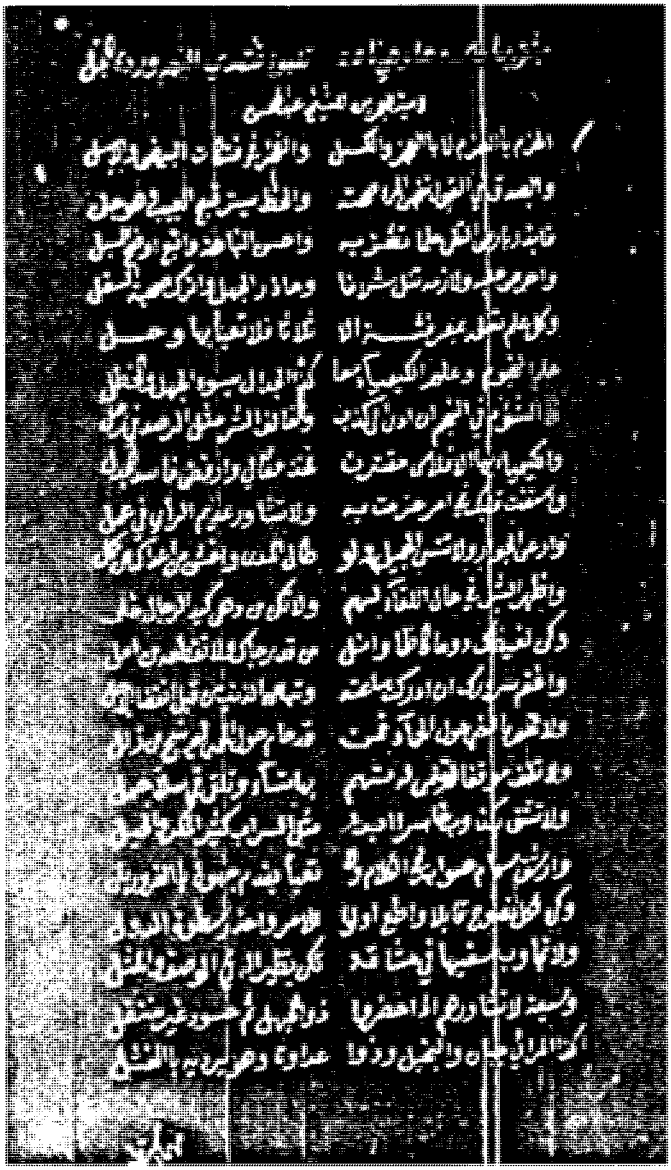

صورة الصفحة الأولى من (المخطوط)

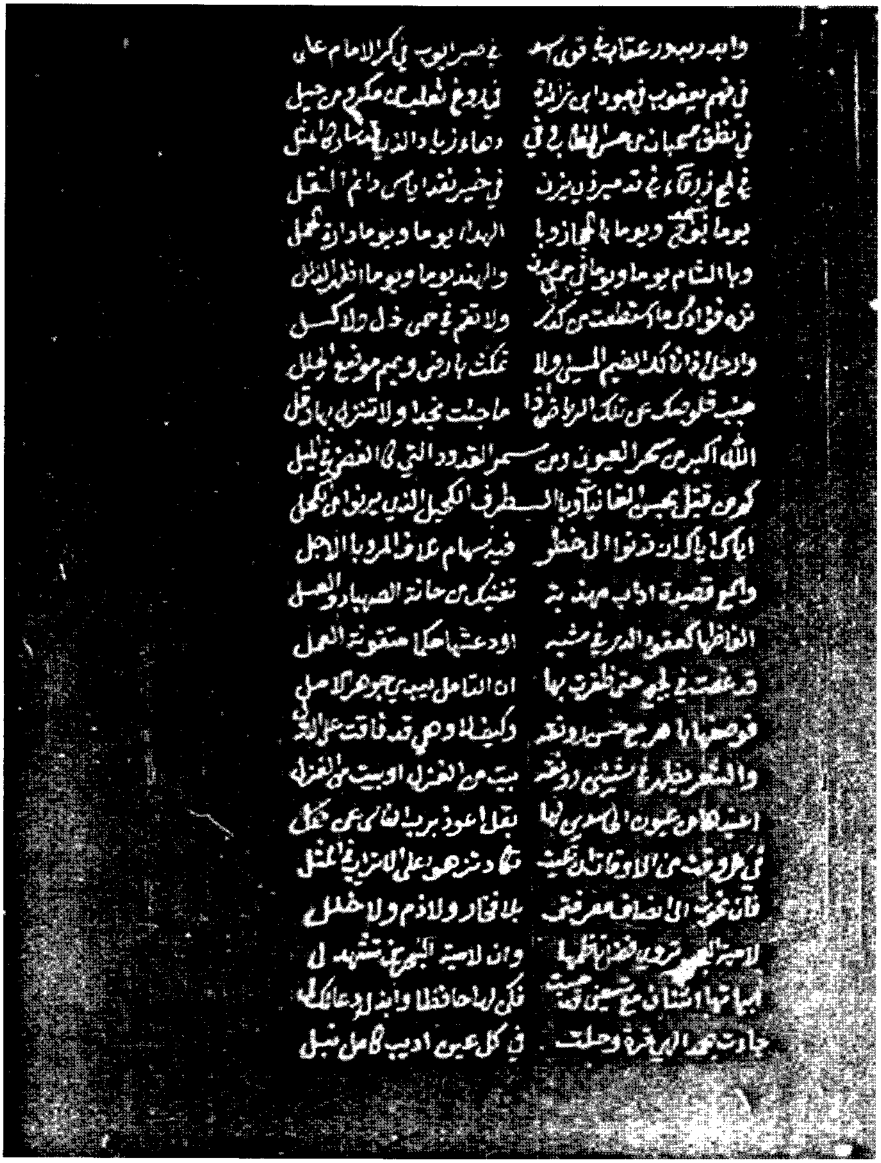

وابن ربيعور عقابة في قول لهم   في صبر ايوب في كر الامام علي
في فهم يعقوب في جود ابن زائدة   في ذوق ثعلب في مكر من جيل
في نطق سحبان في حسن الخطاب في   دهاء زياد الذي [illegible]
في لحم زرقاء في تدمير ذي يزن   في خير بغداد اياس دائم العقل
يوما بنجد ويوما بالحجاز وبا   [illegible] يوما ويوما دار [illegible]
وبالشام يوما ويوما في يمن   والهند يوما ويوما [illegible]
نزه فؤادك ما استطعت من كدر   ولا تقم في حمى ذل ولا كسل
وارحل اذا ما لك الضيم المسيء ولا   تمكث بارض وبهم موضع الخلل
جنب قلوبك عن تلك الرياض اذا   ما جئت نجدا ولا تنزل بها وقل
الله اكبر من سحر العيون ومن سمر القدود التي كالغصن في الميل
كم من قتيل بحسن الغانيات وبالـطرف الكحيل الذي يربو من الكحل
اياك اياك ان تدنوا الى الخطر   فيه سهام على فؤاد المرء بالاجل
واليك قصيدة اديب مهذبة   تغنيك عن حانة الصهباء والعسل
الفاظها كعقود الدر في شبه   او دعتها حكما متقونة العمل
قد غصت في لجة حتى ظفرت بها   ان التامل يبدي جوهر الاصل
فوصفها [illegible] حسن ونغم   [illegible] وهي قد فاقت عن المثل
والشعر يظهر [illegible]   بيت من الغزل او بيت من الغزل
اعيذها من عيون الحاسدين لها   بقل اعوذ برب الناس من [illegible]
في كل وقت من الاوقات [illegible]   [illegible] على الانزال في المثل
فان تنسب الى انصاف معرفتي   بلا فخار ولا ذم ولا خلل
لا سيما [illegible] ترعى فقد نظمها   وان لا سيما البحر تشهد لي
ابياتها اثنان مع ستين قد حسبت   فكن لها حافظا وانشد [illegible]
جاءت بحمد الله غرة وحلت   في كل عين اديب كامل نبل

صورة الصفحة ما قبل الأخيرة من (المخطوط)

لِقاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢٣٠)

لَامِيَّةُ البَحْرَيْنِ

نَظْمُ الأَدِيبِ الكَامِلِ وَالأَرِيبِ الفَاضِلِ
الشيخ عبد المحسن بن محمّد بن يعقوب الصّحّاف
المحرّقيّ البحرينيّ ثمّ المكّيّ
المتوفّى ١٣٥٠هـ

تحقيق وتعليق
الدكتور السيّد محمّد رفيق الحسيني

لامِيَّة البحرين(١)

عبد المحسن بن محمد بن يعقوب الصحاف

الحَزْمُ بِالعَزْمِ لَا بِالعَجْزِ وَالكَسَلِ   وَالفَخْرُ في فَتَكَاتِ البِيْضِ والأَسَلِ(٢)

---

(١) مجموعة أشعار مخطوطة من مجموعة عبد الله الدهلوي ورقة (رقم ١٢٧ و٢٠١)، مكتبة الحرم المكيّ الشريف.

(٢) **الحَزْم**: ضبط الأمر وإحكامه. **العَزْم**: الثبات والصبر والجد والإرادة القوية، ومن ثَمَّ سمي الرُّسل الذين صبروا وثبتوا أكثر من غيرهم في سبيل دعوتهم: «أولو العزم». **العَجْز**: الضعف وعدم القدرة على العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١]. **الكَسَل**: التثاقل والتهاون والتقصير في أداء العمل، ومنه قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، وفي الحديث: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ**». **الفَخْر**: التباهي وإظهار المحاسن والمآثر والفضائل والمكارم في النسب والحسب وغيرهما، سواء فيه أو في أهله وعشيرته، أما من يتفاخر بآبائه وشرفهم مع فحش لسانه، وقبيح فعله، فيصدق عليه:

لئن فخَرتَ بآباء لهم شرفٌ   لقد صَدَقتَ ولكن بئس ما ولدوا

فَتَكَات: جمع فتكة، والفَتْكُ هو القتل على غِرَّة، وفتك بأعدائه أي بطش بهم. **البِيْض**: جمع الأبيض وهو السيف. **الأَسَل**: الرماح الطوال.

وَالصِّدْقُ في القَوْلِ تُنْجِي المَرءَ صُحْبَتُهُ   وَالحَظُّ يَسْتُرُ قُبْحَ العَيْبِ وَهْوَ جَلِي⁽¹⁾
فَابْذُرْ بِأَرْضِ التُّقَى عِلْمًا⁽²⁾ تُعَزُّ بِهِ   وَاحْسِنِ النَّبَاهة واتَّبِعْ أَوْضَحَ السُّبُلِ⁽³⁾
وَاحْرِصْ عَلَيْهِ وَلَازِمْهُ تَنَلْ شَرَفًا   وَحَاذِرِ الجَهْلَ وَاتْرُكْ صُحْبَةَ السَّفَلِ⁽⁴⁾
وَكُلَّ عِلْمٍ تَعَلَّمْهُ بِمَعْرِفَةٍ   إِلَّا ثَلاثًا فَلا تَعْبَأْ بِهَا وحُلِ⁽⁵⁾
عِلْمَ النُّجُوْمِ، وَعِلْمَ الكِيْمِيَاءِ مَعًا   كَذَا الجِدَالَ بِسُوْءِ الجَهْلِ وَالخَطَلِ⁽⁶⁾

---

(١) **الصِّدْق**: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم. **المَرْء**: الرجل أو الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الحَظّ: النصيب، والجد، والبخت، وجمعه: حُظُوظ، وأحْظٍ. **القُبْحُ**: ضد الحُسن، وهو ما نفَّر الذَّوْقَ السويَّ، ويكون في القول، والفعل، والصورة، وجمعه: مَقَابِحُ على غير قياس، وقبحه اللهُ أي أبعده عن كلّ خيرٍ وجعله قبيحًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢]، أي من المبعدين عن الفوز بالجنّة. **العَيْبُ**: الوَصْمة، وجمعه: عُيُوبٌ. **الجَلِيُّ**: الواضح البيِّن.

(٢) (حلمًا) معجم البابطين.

(٣) **فَابْذُرْ**: أي ازرع. **النَّبَاهَة**: الفطنة والذكاء. **السُّبُل**، مفرده السَّبيل: وهو الطريق الواضح.

(٤) **الشَّرَف**: العُلوُّ والمجد، وقيل: علو النسب والقدر معًا. **السَّفَل**: السقاط من الناس، والسفالة النذالة.

(٥) **لا تَعْبَأ**: أي لا تهتمّ ولا تُبالي به، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان: ٧٧].

(٦) علم النجوم علمان:

الأول: هو معرفة أحوال النجوم وطرق سيرها في سبيل ضبط المواقيت =

فَالشُّؤْمُ في النَّجْمِ إنْ أَدَّى إلى كَذِبٍ   وَخَالَفَ الشَّرعَ مِثْلَ الرَّصْدِ في زُحَلِ(١)

= والأنواء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، قال الخطابي: «أما علم النجوم الذي يدرك بطريق المشاهدة، والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نُهي عنه، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلَّا أن أهل هذه الصناعة قد دبّروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني بها الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته». «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠).

الثاني: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية، وهو المنهي عنه، كما سيأتي.

(١) وفيه يقول النبي ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» رواه أبو داود، وإسناده صحيح. قال الخطابي: «علم التنجيم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات، والحوادث التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان؛ كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار وما في معنى ذلك من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدّعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وأنها تجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكّم على الغيب وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به لا يعلمه سواه». «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واعلم أن التنجيم مما ينافي التوحيد، ويوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه». «الفتاوى» (٣٥/ ١٩٢).

الشؤم: الشر. **الرصد**: المراقبة والتعقب، رصد العدو أي راقبه وقعد له، وفي اصطلاح الفلكيين: مراقبة النّجوم وحركاتها، وما يتّصل بها بواسطة آلات الرّصد. **زُحَلُ**: في علم الفلك: ثاني كواكب المجموعة الشمسية =

وَالكِيْمِيَاءُ بِهَا الإِفْلَاسُ مُقْتَرِنٌ   فَخُذْ مَقَالِيَ وَارْفُضْ فَاسِدَ الجَدَلِ(١)
وَاسْتَفْتِ قَلْبَكَ فِي أَمْرٍ عَزَمْتَ بِهِ   وَلَا تُشَاوِرْ عَدِيْمَ الرَّأْيِ فِي عَمَلِ(٢)
وَارْعَ الجِوَارَ وَلَا تَنْسَ الجَمِيْلَ وَلَوْ   طَالَ المَدَى وَاخْشَ مَنْ أَعْدَاكَ عَنْ كَمَلِ(٣)
وَأَظْهِرِ البِشْرَ فِي حَالِ اللِّقَاءِ بِهِمْ   وَلَا تَكُنْ مِنْ دَهَا(٤) كَيْدِ الرِّجَالِ(٥) خَلِي

= حجمًا بعد المُشْتري، وسادسها بُعدًا عن الشمس، وعند المنجّمين: يقابل النَّحْس والشؤم والكآبة والانقباض.

(١) **الكيمياء** عند القدماء: هو علم يتناول تحويل بعض المعادن إلى بعض، لاسيّما تحويلُها إلى ذهب، وعند المحدثين: هو علمٌ يتناول دراسة خواصّ العناصر والمركّبات والقوانين التي تحكم تفاعلاتها. ينظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن عمل الكيمياء وهل تصح بالعقل أو تجوز بالشرع؟ مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٦٨).

(٢) **عزم الأمر**: عقد النيَّة ووطَّن نفسه على فعله، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقيل: من عزم على نيل العُلا وصل. **والشورى**: طلب الرأي والنصيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقيل: إذا شاورت العاقل صار عقله لك، وإذا شاورت الجاهل أضاع لك عقلك.

(٣) **الجار**: هو المُجاور في المسكن أو نحوه، **والجوار**: هو العهد والأمان، وقيل: الجار أحقّ بالجوار. ، **ورعَى الجوار**: أي حافظ عليه وقام به حقَّ القيام، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد: ٢٧]. **واخش**: أي احذر واتقِ. **الكَمَل**: الكامل.

(٤) (دهى).

(٥) **البِشر**: طلاقة الوجه. **الدهاء**: هو جودة الرأي والمكر والحذق والمهارة. **الكيد**: الحيل. **خلي**: أي بعيدًا أو معدومًا.

وَكُنْ لِغَيْظِكَ دَوْمًا كَاظِمًا وَأَنِلْ   مَنْ قَدْ رَجَاكَ وَلَا تَقْطَعْهُ مِنْ أَمَلِ(١)
وَاغْنَمْ سُرُوْرَكَ إِنْ أَدْرَكْتَ سَاعَتَهُ   وَتُبْ عَنِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ انْقِضَا الأَجَلِ(٢)
وَلا تَحُمْ يَا أَخِي حَوْلَ الحِمَاءِ(٣) فَمَنْ   قَدْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى لَمْ يَنْجُ مِنْ زَلَلِ(٤)
وَلا تَقِفْ مَوْقِفًا تُنْمَى لَهُ تُهَمٌ   بِهَا تُسَاءُ وَتُلْقَى فِي سَلَا جَمَلِ(٥)

---

(١) **الغيظ**: هو أشدّ الغضب والحَنَق، من إساءة يُلْحِقها بك أَحدٌ. **كظم عيظه**: أي حبسه وأمسكه، وفي «صحيح مسلم»: «**إذا تثاوب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**»، أي: فليحبس، وفيه قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. **أنال**: أعطى ومكَّن.

(٢) **التوبة**: الإقلاع عن المعصية، والندم عليها، والعزم على عدم الرجوع إليها. **الذنب**: الإثم والمعصية، وكل أمر غير مشروع يُرتكب. **الأجل**: الوقت الذي يُحدد لانتهاء الشيء أو حلوله، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، والمقصود هنا انقضاء العمر بالموت.

(٣) في المخطوط (الحمى)، ولعل الصواب كما أثبتناه (الحماء) للوزن، والحمى بالقصر وفي لغة بالمد، وكلاهما جائز.

(٤) **حام**: دار. **الحمى**: كل ما يحمى ويدافع عنه. **الزلل**: السقوط والخطأ. وفي الحديث: «**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**».

(٥) **تنمى**: تنسب وتشاع. **السلا**: ما تلقيه الناقة إذا وضعت، قال النابغة:

ويقذفن بالأولاد في كل منزل   تشحط في أسلائها كالوصائل

أي الوليد يضطرب في السلا، قال الثعالبي: «(سلا الجمل)، العرب تقول في بلوغ الشدة منتهى غايتها: (وقع القوم في سلا جمل)، وهو شيء لا مثل له؛ لأن السلا إنما يكون للناقة ولا يكون للجمل».

وَلا تَـثِـقْ بِـكَـذُوْبٍ خَـاسِـرٍ أَبَـدًا   مِثْلَ السَّرابِ كَثِيْرَ المَكْرِ وَالحِيَلِ(١)
وَارْشِقْ سِهَامَ صَوَابٍ في الكَلامِ وَلا   تَعْبَأْ بِفَدْمٍ جَهُوْلٍ بِالغُرُوْرِ بُلِي(٢)
وَكُنْ لِكُلِّ نَصُوْحٍ قَابِلًا وَأَطِعْ   أُوْلِي الأوامر(٣) وَاحْذَرْ سَطْوَةَ الدُّوَلِ(٤)
وَلا تُجَاوِبْ سَفِيْهًا في مُشَاتَمَةٍ   تَكُنْ نَظِيْرًا لَهُ في الوَصْفِ وَالمَثَلِ(٥)

---

(١) **السراب**: هو ما لا حقيقة له، ويطلق على ما يشاهد في وسط الطريق عند اشتداد الحر كأنه ماء، ويضرب به في الكذب والخداع: (هو أخدع من سَراب). **المكر**: الخداع. **الحيلة**: القدرة على التّصرّف في الأمور ابتغاء الوصول إلى المقصود، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨].

(٢) **الرشق**: الرمي. **لا تعبأ**: أي لا تبال به ولا تهتم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]. **الفدم**: ثقيل الفهم شديد الحمق. **الغرور**: كل ما غرَّ الإنسان أو خدعه من مال أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]. **بُلي**: فعل مبني للمجهول، أي أصابته محنة ومصيبة.

(٣) في المخطوط: الأمر، ولعل الصواب: (الأوامر)، كما في «معجم البابطين»، ولو قال: (ولاة أمرك واحذر. . .) لكان جيدًا.

(٤) **السطوة**: شدة البطش. **الدول**: النبل المتداول، والمقصود هنا إما الحكومات، أو انقلاب الزمان، أو ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذلك مرة.

(٥) **السفيه**: بذيء اللسان خفيف العقل أحمق، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]. **الشتم**: السب والكلام المهين. قال زهير ابن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفِره ومن لا يتق الشتم يشتم

النظير: المثيل المساوي.

وَسَبْعَةً لا تُشَاوِرْهُمْ إذَا حَضَرُوا   ذُوْ الجَهْلِ، ثُمَّ حَسُوْدٌ غَيْرُ مُنْتَقَلِ[1]
كَذَا المُرائِي، جَبَانٌ، وَالبَخِيْلُ، وَذُوْ   عَدَاوَةٍ، وَهَوًى[2] يُرْدِيْكَ بِالفَشَلِ[3]
مَهْمَا اسْتَطَعْتَ تَجَنَّبْ رَأْيَهُمْ[4] فَهُمُو   كَمْ قَدْ أَسَاؤُوا سَلِيْمَ القَلْبِ بِالخَلَلِ[5]
وَغَرْبِلِ النَّاسَ وَانْخُلْهُمْ بِتَجْرِبَةٍ   وَكُنْ فَتًى صَيْرَفِيَّ النَّقْدِ ذَا وَهَلِ[6]

---

(١) **الحسود**: هو من طبعه الحسد، والحسد: تمني زوال النعمة عن الغير. **غير منتقل**: غير متحول ولا متغير.

(٢) في المخطوط: (وهوًى قد)، وعند الخاطر: (وهو قد)، ولعل الصواب ما أثبتناه ليستقيم الوزن والمعنى.

(٣) **الرياء**: هو إظهار خلاف ما هو عليه ليراه الآخرون، فيكون عمله لأجلهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. **ذو هوى**: أي صاحب الهوى، وهو المائل إلى شهوة النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ويقال: (أصاحب الأهواء)؛ أي من أصحاب العقائد الباطلة ممن ضل طريق الهداية. **أردى**: أي سقط وهلك.

(٤) (دينهم) الخاطر.

(٥) **الخلل**: يقال: (في رأيه خلل)؛ أي فساد وضعف.

(٦) **غرْبل الناس**: أي كشف حالهم وأحصى عليهم عيوبهم، وفي المثل: (من غربل الناس نخلوه)؛ يُضرب في الكفّ عن التحدث بأمر الناس، والمقصود هنا: الانتقاء والاصطفاء. **النخل**: هو إزالة نخالة الطحين، والمقصود هنا: اختيار الأفضل. **الصيرفي**: هو الخبير في معرفة النقود المزيفة والصحيحة، ويبيع النقود بنقود من نوع آخر. **ذا وهل**: أي ذا وهلة، وهو التعرف على الناس من أول نظرة.

فَالنَّاسُ أَجْنَاسُ فَاخْتَرْ مَنْ تُخَالِلُهُ   مِنْهُمْ كَمَا قَدْ رُوِيْ عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ(١)
وَاغْرِسْ بِمَزْرَعَةِ الدُّنْيَا لِآخِرَةٍ   غَرْسًا حَوَى ثَمَرًا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ(٢)
وَاحْذَرْ عَوَاقِبَ أَمْرٍ قَدْ جَنَيْتَ(٣) بِهِ   وَلَم تُفَكِّرْ بِمَا يَأْتِي مِنَ العَذَلِ(٤)
مَنْ لم يُفَكِّرْ إذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ   في الانْتِهَاءِ فَعَنْهُ(٥) الخَطْبُ لم يَحُلِ(٦)

---

(١) **أجناس**: أنواع. **الخليل**: هو الصديق الخالص الوفي الناصح، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، والحديث الذي أشار إليه هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»، رواه أبو داوود والترمذي.

(٢) **حوى**: ملك وجمع. وكأنه يشير إلى ما رُوي: (الدنيا مزرعة الآخرة)، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: «لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في «الإحياء»، وفي «الفردوس» بلا سند عن ابن عمر مرفوعًا: «**الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها، ولا تعمروها**»، وفي «الضعفاء» للعقيلي، و«مكارم الأخلاق» لابن لال من حديث طارق بن أشيم رفعه: «**نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته**» الحديث. وهو عند الحاكم في «مستدركه» وصحَّحه، لكن تعقبه الذهبي بأنه منكر، قال: وعبد الجبار ـ يعني راويه ـ لا يعرف».

(٣) كذا في المخطوط، وضبطها الخاطر (جننت).

(٤) **العاقبة**: آخر كل شيء وخاتمته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، القصص: ٨٣]. **جنيت**: من الجناية، أي ارتكبت ذنبًا أو جريمة. **العذل**: المبالغة في اللوم.

(٥) (قصدته) الخاطر.

(٦) **نابه**: أي أصابه ونزل به. **النائبة**: المصيبة الشديدة والحوادث المؤلمة، =

مَنْ يَصْنَعِ العُرْفَ يُجزَى(١) مِنْ عَوَاقِبِهِ   ثَوَابَ فَضْلٍ مَدَى الأَوْقَاتِ لم يَزَلِ(٢)
مَنْ كَادَ كَيْدَ بِنَكْبَاتِ(٣) الزَّمَانِ وَمَنْ   أَرَادَ غَدْرًا بُلِيْ بِالغَدْرِ مِنْ رَجُلِ(٤)
مَنْ ذَمَّ ذُمَّ وَأَمْسَى عِرْضُهُ هَدَفًا   لِكُلِّ رَامٍ بِسَهْمِ الجِدِّ مُحْتَفَلِ(٥)
مَنْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي لا يُغَرُّ(٦) بِهَا   فَحَرْبُهَا خُدْعَةٌ لِلفَارِسِ البَطَلِ(٧)

= وفي المثل: (من نظر في العواقب سلم من النوائب). **الخطب**: الأمر الشديد الذي يكثر فيه التخاطب. **يحل**: من الحائل، أي: لم يمتنع.

(١) يجوز رفع المضارع الواقع جوابًا للشرط

(٢) **الثواب**: العطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. **المدى**: الغاية والمنتهى.

(٣) (بكيدات) الخاطر.

(٤) **كاد**: مكر وخدع واحتال، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا﴾ [الطارق: ١٥]، وقوله: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٨]، وقوله: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]. **نكبات**: جمع نكبة، وهي المصيبة. **الغدر**: نقض العهد.

(٥) **ذم الشخص**: أي لامه وعابه وهجاه وانتقصه واستحقره. **أمسى**: أي صار. **الجد**: الجاد المجتهد. **محتفل**: مجتمع.

(٦) في المخطوط (يَغْتَرِرْ) ولعل الصواب ما أثبتناه كما عند الخاطر و«معجم البابطين»؛ ليستقيم الوزن.

(٧) **سالمه**: أي صالحه. **لا يغرّ**: لا ينخدع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [لقمان: ٣٣، فاطر: ٥]، أي: لا تخدعنكم بزخارفها وملذّاتها. **الفارس**: الماهر في ركوب الخيل، والحاذق بما يمارس من الأشياء. **البطل**: الشجاع المستبسل.

مَنْ شَبَّ طِفْلًا عَلَى شَيْءٍ وَهَامَ بِهِ عَلَيْهِ شَابَ وَلم يَبْرَأْ مِنَ العِلَلِ(١)
(مَنْ بَاعَ دُرًّا(٢) عَلى الفَحَّامِ ضَيَّعَهُ)(٣) نَحْوَ البَهَائِمِ وَالثِّيْرَانِ مِنْ خَبَلِ(٤)
مَنْ فِيْهِ طَبْعٌ قَبِيْحٌ لم يَزَلْ أَبَدًا وَخِسَّةُ الطَّبْعِ تَحْكِي رِيْحَةَ البَصَلِ(٥)
مَنْ هَذَّبَ النَّفْسَ بِالطَّبْعِ المُفِيْدِ عَلَا وَصِيْنَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ في الوُضُوْحِ جَلِي(٦)
مَنْ لم يُرَسَّخْ(٧) عَلى التَّعْلِيْمِ مِنْ صِغَرٍ لم يَنْتَفِعْ مِنْهُ بَعْدَ الشَّيْبِ في نَهَلِ(٨)
مَنْ غَرَّهُ الجَهْلُ يَوْمًا حَلَّهُ نَدَمٌ وَنَالَهُ الذُّلُّ في حِلٍّ ومُرْتَحَلِ(٩)

---

(١) **شب**: بلغ مبلغ الشباب. **هام به**: أحبه وشغف به. **برأ**: خلص وخلا وشفي. **العلل**: المرض والشواغل. وفي المثل: (مَنْ شبّ على شيء شاب عليه)، يُضرب للإشارة إلى أن سلوك الإنسان يتحدّد منذ الصِّغر.

(٢) يراجع الخاطر.

(٣) من أبيات لكاظم الأرزي التميمي:

عرضت در نظامي عند من جهلوا فضيَّعوا في ظلام الجهل موقعه
فلم أزل لائمًا نفسي أعاتبها من باع درًّا على الفحام ضيعه

(٤) **الدر**: اللؤلؤة العظيمة. **البهائم**: الحيوان، سميت بذلك لأنها لا تتكلم. **الخبل**: فساد العقل.

(٥) **الطبع**: الخلق. **خسة**: حقارة. **تحكي**: أي تحاكي، أي: تشابه.

(٦) **هذَّب**: أصلح وربَّى. **علا**: ارتفع. **صان**: حفظه مما يعيبه. **جلي**: ظاهر.

(٧) (يرسخ) الخاطر.

(٨) **يرسَّخ**: يمكَّن ويثبَّت. **نهل**: أول الشرب، ونهل العلم، أي: استقى العلم.

(٩) **حلَّه**: نزل به. **ندم**: أسف وحسرة وحزن. **الذل**: الضعف والهوان والمهانة. **حل**: مقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]. **مرتحل**: موضع الارتحال، والمقصود السفر.

مَنْ قَدْ رَأى نَفْسَهُ بِالكِبْرِ ذَا كِبَرٍ   فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ فِي سَائِرِ المُقَلِ(١)
مَنْ يَزْدَرِي النَّاسَ تِيْهًا(٢) يَزْدَرُوْنَ بِهِ   فَإِنَّهُ(٣) شَعْرَةٌ فِي رِجْلِ مُنْتَعِلِ(٤)
مَنْ هَابَ خَابَ وَلَم يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ   وَمَنْ جَفَا(٥) فُرَصَ الأَوْقَاتِ عَادَ خَلِي(٦)
مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى كُلِّ القُلُوْبِ وَمَنْ   دَعَتْهُ حَاجَةُ امْرِئٍ مَلَّ مِنْ ثِقَلِ(٧)
مَنْ سَلَّ سَيْفَ عُتُوِّ البَغْيِ مَاتَ بِهِ   مَنْ يُؤْذِ يُؤْذَ بِهِ فِي أَرْفَعِ القُلَلِ(٨)

---

(١) **ذرة**: هو الشيء البالغ في الصغر. **المقل**: جمع مقلة، وهي العين.

(٢) في المخطوط (تِيْهًا) ولعل الصواب ما أثبتناه كما عند الخاطر ليستقيم الوزن.

(٣) في المخطوط: (كأنه)، ولعل الأجود ما أثبتناه.

(٤) **يزدري**: يحتقر ويستخف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ [هود: ٣١]. **تيها**: تكبرًا.

(٥) في المخطوط: (دعى)، وعند الخاطر: (رمى)، ولعل الأجود ما أثبتناه.

(٦) **هاب**: أي خاف. **خاب**: خسر، ولم ينل مراده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١٥]. **يظفر**: ينل، أو يحصل، أو يتمكن. **جفا**: أعرض وابتعد. **خلي**: أي: خاليًا، أي: فارغًا.

(٧) **عفَّ**: تجنَّب.

(٨) في المخطوط: (وَمَنْ يُؤْاذِي يُؤذَ وَهْوَ في أَرْفَعِ القُلَلِ)، وعند الخاطر: (ولو في أرفع)، ولعل الصواب ما أثبتناه.
سلَّ السيف: أخرجه بلطف ورفق. **العتو**: مجاوزة الحد. **البغي**: الظلم والاستطالة على الناس. **القلل**: جمع قلَّة، وهي أعلى الجبل، وقلَّة كل شيء أعلاه.

مَنْ لم تُنَبِّهْهُ(١) عَيْنُ الدَّهْرِ مِنْ سَفَهٍ(٢)   دَهَتْهُ أَهْوَالُ آسَادٍ مِنَ الغِيَلِ(٣)
مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ في لَهْوٍ وَفي لَعِبٍ   وَغُصْنُهُ مُثْمِرٌ لم يَحْظَ بِالأَمَلِ(٤)
مَنْ قَدْ أَجَارَ خَؤُوْنًا مِنْ إغَاثَتِهِ   كَمَنْ يَجُوْدُ عَلى الغَدَّارِ بِالنُّزُلِ(٥)
مَنْ أَكْرَمَ الذِّئْبَ أَوْ رَبَّاهُ مَعْ غَنَمٍ   يَغْدُوْ عَلَيْهَا بِطَبْعِ الخَائِنِ الرَّذِلِ(٦)

---

(١) (تنبه) الخاطر.

(٢) في المخطوط: (سنة)، ولعل الأصوب والأجود ما أثبتناه كما هو عند الخاطر.

(٣) **الدهر**: الزمان طال أم قصر، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. **دهته**: من الداهية، وهي النوائب العظيمة والمصائب الشديدة. **أهوال**: جمع هول: وهو الأمر الشديد المخيف. **آساد**: جمع أسد. **الغيل**: الغفلة.

(٤) **اللهو**: كلّ ما أشغل الإنسان، وضيَّع فيه وقته، ولم يثمر خيرًا. **يحظ**: يكن له نصيب. **الأمل**: الرجاء، ويستعمل غالبًا فيما يستبعد، وجمعه آمال.

(٥) **الخؤون**: كثير الخيانة. **إغاثته**: دعوته للنصرة والإعانة. **يجود**: يتكرم. **غدار**: صيغة مبالغة من الغدر، وهي الخيانه ونقض العهد. **النزل**: ما يُهيَّأُ للضيف من المأكل والمبيت، ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

(٦) **الرذل**: الدنيء والخسيس والنذل.

(قصة) يُروى أن عجوزًا كانت لا تملك إلّا شاة تعتاش على حليبها، رأت يومًا رضيع ذئب ماتت أمه، فحنت عليه وأتت به إلى الشاة، وبدأ يتغذى من حليبها، فلما كبر أكل الشاة وترك العجوز لمصير لا يعلمه إلّا الله، فقالت العجوز تخاطب صغير الذئب الذي كبر:

أكلت شويهتي وفجعت قلبي   وأنت لشاتنا ولد ربيب

مَنْ قَدْ تَعَوَّدَ أَكْلَ السُّمِّ عَاشَ وَلم   يَمُتْ بِغَدْرٍ لَدَى التَّمْرِيْنِ مُنْتَقِلِ[1]
مَنْ لَاعَبَ القِطَّ سَاءَتْهُ أَظَافِرَهُ   وَالقِطُّ يُمْزَحُ مَعْهُ مَزْحَ مُعْتَدِلِ[2]
مَنْ أَطْعَمَ الحَيَّةَ الرَّقْطَاءَ مُحْتَفِلًا   بِهَا أَذَاقَتْهُ طَعْمَ[3] المَوْتِ بِالخَتَلِ[4]
مَنِ اسْتَدَلَّ بِأَعْمَى القَلْبِ أَوْقَعَهُ   في وَرْطَةٍ شُجِجْتَ[5] بِالكَيْدِ وَالفَشَلِ[6]
مَنْ عَلَّمَ الأَبْلَهَ المَطْبُوْعَ مَعْرِفَةً   لم يَفْهَمَنْهَا وَلَوْ أَذَّنْتَ في جَبَلِ[7]
مَنْ قَدْ أَعَانَ قَرِيْنَ الظُّلْمِ سَلَّطَهُ   عَلَيْهِ رَبُّ الوَرَى تَسْلِيْطَ ذِي عَجَلِ[8]

غذيت بدرّها ورضعت منها   فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كانت الطباع طباع سوء   فلا أدب يفيد ولا أديب

[1] **التمرين**: التدريب.

[2] **المزح**: الدعابة والمباسطة والتلطف.

[3] (نار) المخطوط.

[4] **الرقطاء**: نوع من الحيَّات لونها مؤلف من بياض وسواد، أو من حمرة وصفرة ونحوها. **الختل**: الاحتيال في الخفاء.

[5] في المخطوط (شُجَّت) ولعل الأجود ما أثبتناه. فشجَّت لا يستقيم به الوزن، ويجوز فك الإدغام للضرورة كما مثلوا لذلك بـ (الأجلل):

الحمدُ للهِ العليِّ الأجْلَلِ   أنتَ مليكُ الناسِ ربًّا فاقْبَلِ

[6] **شججت**: أي جُرحت وأُصبت.

[7] **الأبله**: الأحمق الذي لا تمييز له.

[8] **القرين**: هو الصاحب الملازم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾ [الصافات: ٥١]. **سلطه**: مكّنه منه وجعل له سلطة عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٠]. **الورى**: الخلق.

مَنْ لم يَكُنْ شَاكِرًا للنَّاسِ في عَمَلٍ   لـم يَشْكُرِ اللهَ في جُوْدٍ وَفي نَزَلِ(١)
فَإنْ جَهِلْتَ فَخَالِطْ بَعْدَ تَجْرِبَةٍ   وَاقْرِ(٢) السُّلُوْكَ وَلا تَرْعَ(٣) مَعَ الهَمَلِ(٤)
وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ تَشَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ تَكُنْ   مَثِيْلَهُ(٥) وَاغْفِرِ الزَّلاتَ وَاحْتَمِلِ(٦)
وَاخْطُبْ كَرِيْمَةَ آبَاءٍ غَطَارِفَةٍ   فَالعِرْقُ دَسَّاسُ يُرْدِيْ نَسْلَ كُلِّ عَلِي(٧)

---

(١) **نَزَل**: عطاء وفضل، يقال: رجل ذو نَزَل، أي: كثير الفضل والعطاء، وقد يكون بمعنى المصاب، تقول: نزل به مكروه، أي: أصابه، ويكون المعنى: لم يشكر الله في وقت الجود ووقت المصاب.
وصحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) في المخطوط: (واقري).

(٣) في المخطوط: (ولا ترعى).

(٤) **واقر**: من الاستقراء، وهو تتبع الشيء لمعرفة أحواله وخواصه. **السلوك**: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه. **ترع**: أي تسرح. **الهمل**: هو المتروك بلا رعاية ولا عناية.

(٥) في المخطوط: (مثله).

(٦) **استغن**: أي ترفّع عن طلب العون. **مثيل**: شبيه ونظير. **غفر**: ستر وعفا. **الزلة**: السقطة والخطيئة والإساءة. **احتمل**: تجلّد وصبر وأغضى وصفح وعفا.

(٧) **كريمة**: البنت التي تكون من عائلة معروفة بالأخلاق الحسنة. **غطارفة**: السيد السخي الكريم. **العرق**: هو أصل كل شيء، ويطلق على مجرى الدم في الجسد. **دسَّاس**: أي دخَّال ينزع في خفاء ولطف.
والمقصود من (العرق دساس): أن الصفات الإنسانية يتوارثها الأبناء، فيجب التحري في اختيار الزوج، وما رُوي: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس**» بهذا اللفظ لا يصح. =

خُـذِ الأَصِـيْـلَ وَجَـانِـبْ ضِـدَّهُ حَـذِرًا (لَيْسَ التَّكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ)(١)
وَاخْشَ الـدَّنَـاءَةَ وَالـطَّبْعَ الـذَّمِيْـمَ وَلا تَنْظُر إلى لُقْمَةِ الإنْسَانِ في الأُكُلِ(٢)
وَإنْ كُـوِيْـتَ فَـأَنْـضِـجْ بِـالـلَّـهِـيْـبِ وَقُـلْ (أَنَا الغَرِيْقُ فَمَا خَوْفي مِنَ البَلَلِ)(٣)

= يُـردي: يُسقط، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦]. **النسل**: الولد والذرية، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [السجدة: ٨]. **علي**: رفيع القدر والشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

(١) **الأصيل**: في النسب: هو العريق والشريف، وفي العلم: هو الثابت الراسخ. **الكَحَل**: سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال.
والشطر الثاني، من قصيدة للمتنبي:
لأنَّ حِلمك حِلمٌ لا تكلَّفُه ليس التكحُّلُ في العَينين كالكَحَل
وهذا ما يسمى عند الأدباء والشعراء بالتضمين، وهو أن يضمّن الشاعر في قصيدته من شعر غيره لشدّة جماله وقوة تعلقه بالموضوع.

(٢) **واخش**: أي وليكن طبع الدناءة مكروهًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٠].
ولقد خشِيت بأن أموت ولم تَدُر للحرب دائرةٌ على ابْنَي ضمضمِ
الدناءة: الخِسة واللؤم والنذالة والسفالة والهوان. **الطبع الذميم**: الصفات المكروهة التي تعاب وتنتقد. **اللقمة**: ما يهيِّئه الإنسان من الطعام للالتقام، ورُوي: «**لا يُتْبِعَنَّ أحدُكم بصره لُقْمة أخيه**». ولا يصح.

(٣) **اكتوى**: احترق. **نضج الرجل**: أي عقِل واكتسب خبرة التفكير. **اللهيب**: شدة النار وحرُّها.
والشطر الثاني من قصيدة للمتنبي:
والهجرُ أقتلُ لي مما أرقبهُ أنا الغريق فما خوفي من البَلَلِ

وَلا تَكُنْ مُعْجَبًا بِالنَّفْسِ مُتَّبِعًا(١) هَوىً وشُحًّا مُطَاعًا دَائِمَ الكَسَلِ(٢)
إِيَّاكَ تَطْمَعَ فِيمَا لَسْتَ تُدْرِكُهُ وَاحْسِنْ إلى مَنْ أَسَا يَا صَاحِ وَاعْتَدِلِ(٣)

---

(١) (مبتغيا) الخاطر.

(٢) **معجب بنفسه**: مزهو مستكبر.
وكأنه يشير إلى الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه: عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ فقال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون كعملكم**».
قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلًا منهم أو منَّا؟ قال: «**بل أجر خمسين منكم**». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) **الطمع**: الرغبة والحرص، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨]. **أدرك الشَّيءَ**: لحقه وبلغه وناله، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]. **صاح**: أي صاحبي، بحذف الباء والياء على الترخيم.
والترخيم: هو حذف آخر المنادى تخفيفًا، قال ابن مالك:
تَرخِيمًا احذف آخِرَ المنادى كيا سُعَا فيمَنْ دعا سُعَادا
وهو إحدى وسائل التخفيف في كلام العرب.

وَاحْبِبْ حَبِيْبَكَ هَوْنًا مَا وَصِلْ رَحِمًا   وَابْغِضْ بَغِيْضَكَ يَوْمًا مَا وَلا تُقِلِ(١)
وَكُنْ لَدَى مَنْ أَتَى يَدْعُوْكَ أَسْرَعَ مِنْ   بَرْقٍ وَأَصْبَرَ لِلأَثْقَالِ مِنْ جَمَلِ(٢)
وَفِيَّ وَعْدٍ شَهِيْرًا كَالسَّمَوْأَلِ فِي   حُسْنِ الوَفَاءِ وَأَرْمَى مِنْ بَنِي ثُعَلِ(٣)

---

(١) **هونًا**: أي: ليِّنًا وسهلًا. **ولا تقل**: أي: لا تقصيه وتقطعه. **الوصل**: الجمع والربط. **الرحم**: القرابة أو أسبابها. والمقصود بوصل الرحم: العطف على الأقرباء والرفق بهم والإحسان إليهم.
يشير إلى ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، ـ يرفعه ـ قال: «**أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**». قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلَّا من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر. وهو حديث ضعيف أيضًا بإسناد له عن علي، عن النبي ﷺ. والصحيح هذا عن علي موقوف.
قال ابن الأثير: «أحبب حبيبك هونًا ما» أي حبًّا مقتصدًا لا إفراط فيه وإضافة (ما) إليه ـ أي لِهَون ـ تفيد التقليل: يعني لا تسرف في الحب والبغض، فعسى أن يصير الحبيب بغيضًا، والبغيض حبيبًا، فلا تكون قد أسرفت في الحب؛ فتندم، ولا في البغض؛ فتستحي منه إذا أحببته» «النهاية» (٥/ ٢٨٤).

(٢) **لَدَى**: ظرف مكان بمعنى عند، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]. **البرق**: الضوء الذي يلمع في السماء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

(٣) **الوفاء**: القيام بالأمر في وقته. **السموأل**: هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي، صاحب اللَّامية الشهيرة، والتي مطلعها:
إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ   فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ =

مُلاطِفًا، أَلْمَعِيًّا، حَاذِقًا، فَطِنًا   أَرْوَى مِنَ الكُتْبِ في عِلْمِ الكَلامِ مَلي(١)
مُمَارِسًا، مَاهِرًا، بُقْرَاطَ وَقْتِكَ في   وَصْفِ الدَّوَاءِ وَفي الإِقْدَامِ كَالبَطَلِ(٢)
مُلاعِبًا كَرَّةَ الأَيَّامِ مُمْتَطِيًا   مَتْنَ المَعَزَّةِ طَاوِي الرِّجْلِ بِالرَّحَلِ(٣)

= ضرب به المثل في الوفاء، فقيل: (أوفى من السموأل)، ومن قصة وفائه الشهيرة أن امرؤ القيس بن حجر الكندي استودع عنده امرأته وأدرعه وماله قبل ذهابه إلى قيصر الروم، ولما مات امرؤ القيس جاء الحارث بن أبي شمر المعروف بالأعرج إلى السموأل، فطلب منه دروع امرئ القيس وأسلحته، فأبى السموأل وتحصن بحصنه الأبلق، فأخذ الحارث ابنًا له وناداه: (إما أن تسلم الأدرع لي، وإما قتلت ولدك)، فأبى أن يسلم الأدرع، فضربه بالسيف، فقطعه وأبوه يراه، وانصرف، ثم سلمها إلى ورثة امرئ القيس، وقال:

وفَيْتُ بأدرعِ الكندي إني   إذا ما خان أقوامٌ وفَيْتُ

بنو ثعل: بطن من طيء يضرب بهم المثل، ويوصفون بجودة الرمي من بين قبائل العرب، وعمرو بن المسبح ـ وهو من بني ثعل الطائي، وأرمى وقته ـ، فيه يقول امرؤ القيس:

رُبَّ رَامٍ من بني ثُعَلٍ   مُخْرِجٍ كَفَّيْه من سُتُرِه

(١) **اللطف**: اللين في القول والفعل. **ألمع**: مفرط الذكاء فطن ذو فراسة. **الحاذق**: الماهر المتقن. **الفطن**: اليقظ النبيه. **أروى من الكتب**: أي راويًا لها، يقال: أرواه الكتب، أي: حمله على روايته. **علم الكلام**: يقصده إثبات العقائد بإيراد الحجج ودفع الشُّبه. **ملي**: أي متمكن.

(٢) **ممارسًا**: متمرنًا متدربًا. **ماهرًا**: حاذقًا بارعًا مُتقنًا. **بقراط**: طبيب يوناني يلقب بأبو الطب. **الإقدام**: الجرأة والشجاعة.

(٣) **كرة**: رجعة، والمقصود: شدائد الأيام. **ممتطيًا**: راكبًا ومُعتليًا. **متن**: ظهر. **الطي**: الثني. **الرحل**: ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وهي جلسة معروفة لركوب البعير.

وَابْدُرْ بُدُوْرَ عُقَابٍ في قِوَى أَسَدٍ   فِي صَبْرِ أَيُّوْبَ في كَرِّ الإِمَامِ عَلِي (١)
فِي فَهْمِ يَعْقُوْبَ في جُوْدِ ابْنِ زَائِدَةٍ   فِي رَوْغِ (٢) ثَعْلَبَ مِنْ مَكْرٍ وَمِنْ حِيَلِ (٣)
فِي نُطْقِ سَحْبَانَ مِنْ (٤) حُسْنِ الخِطَابِ وَفِي   دَهَا زِيَادَ الذِي قَدْ سَارَ كَالمَثَلِ (٥)

---

(١) **البدور**: الإسراع. **العقاب**: طائر من الكواسر قويُّ المخلب، من أسرع الطيور حالة الانقضاض على الفريسة. **أيوب**: عليه السلام، نبي من أنبياء بني إسرائيل، ابتلاه الله تعالى بفقد أهله وماله وبالمرض قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فصبر على ذلك البلاء سنوات حتى ضرب به المثل في الصبر وشدة الاحتمال، فقيل: (صبر أيوب). **الكر**: الهجوم والانقضاض. **علي**: رضي الله عنه، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله، وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) (ردع) الخاطر.

(٣) **يعقوب**: ابن إسحاق عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. **ابن زائدة**: أمير العرب معن بن زائدة أبو الوليد الشيباني، كان من أجود العرب، وأحلم الناس حتى ضرب به المثل، وقصصه مشهورة. **يروغ**: يميل يمنةً ويسرةً بسرعة وخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]. **الثعلب**: حيوان معروف، يضرب به المثل في المكر والدهاء والاحتيال والروغان.

(٤) (في) الخاطر.

(٥) **سحبان**: ابن زفر بن إياس الوائلي، أدرك الجاهلية وأسلم، وهو من أشهر خطباء العرب لفصاحته وبلاغته، حتى ضرب به المثل فقيل: (أخطب وأبلغ من سحبان). وقيل: هو أوّل من قال: (أمّا بعد). قال الأصمعيّ: كان إذا خطب يسيل عرقًا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقّف، ولا يقعد =

فـي لَمْحِ زَرْقَاءَ فـي تَدْمِيْرِ ذِيْ يَزَنٍ   فـي خَيْرِ نَقْدِ إيَاسٍ، دَائِمَ النُّقَلِ(١)

= حتّى يفرغ. وممّا روي من خطبه البليغة، قوله: (إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، أيها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم، إن الرجل إذا هلك، قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟ قدِّموا بعضًا يكون لكم، ولا تخلِّفوا كلًّا يكون عليكم). **دها**: الدهاء: هو العقل وجودة الرأي مع الحذق والمكر والمهارة. **زياد**: ابن سمية أو زياد ابن أبيه، عرف بالدهاء ورجاحة الرأي.

(١) **لمحه**: أي أبصره بنظر خفيف، أو اختلس إليه النظر. **زرقاء**: زرقاء اليمامة أو زرقاء الجو، يقال بأنها كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تُنذر قومها الجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلَّا وقد استعدوا له، حتى احتال لها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجرًا وأمسكوه أمامهم بأيديهم، ونظرت الزرقاء، فقالت: يا آل جديس سارت إليكم الشجراء وجاءتكم أوائل خيل حِمْيَر. قالوا لها: قد خَرِفْت ورقّ عقلُك وذهب بصرك. وكذَّبوها، فصبَّحتهم الخيلُ، وأغارت عليهم، وقتلت الزَّرقاء. وضرب بها المثل لجودة بصرها وحِدَّة نظرها، قال المتنبي:

وأَبصر من زرقاء جو لأنني   إذا نظرَت عيناي ساواهما التخلف

ذي يزن: الحميري، وسيف بن ذي يزن كان آخر ملوك حمير. **إياس**: ابن معاوية بن قرة، كان أحد العقلاء الأذكياء الدهاة، ويضرب به المثل، فيقولون: (أذكى من إياس)، ومما قاله الحريري في المقامة السابعة: (فإذا ألمعيَّتي ألمعيَّة ابن عباس، وفراستي فراسة إياس). **النقل**: أي التنقل.

يومًا بِنَجْدٍ وَيَوْمًا بِالحِجَازِ وَبِالـ   ـهَدَاءِ يَوْمًا وَيَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ(١)
بِالشَّامِ يَوْمًا وَيَوْمًا في حِمَى عَدَنٍ   وَالهِنْدِ يَوْمًا وَيَوْمًا أَظْهُرَ الذُّلُلِ(٢)
نَزِّهْ فُؤَادَكَ مَا اسْطَعْتَ(٣) مِنْ كَدَرٍ   وَلا تُقِمْ في حِمَى ذُلٍّ وَلا كَسَلِ(٤)
وَارْحَلْ إِذَا نَالَكَ(٥) الضَّيْمُ المُسِيْءُ وَلا   تَمْكُثْ بأَرْضٍ، وَيَمِّمْ(٦) مَوْضِعَ الحِلَلِ(٧)
جَنِّبْ قَلُوْصَكَ عَنْ تِلكَ الرِّيَاضِ إِذَا   مَا جِئْتَ نَجْدًا وَلا تَنْزِلْ بِهَا وَقِلِي(٨)

---

(١) **نجد والحجاز والهداء ودارة الحمل**: أسماء أماكن بالمملكة العربية السعودية.

(٢) **الحمى**: الموضع الذي يُحمى ويُدافع عنه. **الذلول**: السهل، والمقصود به الجمال أو غيرها، لأنها سهلة الانقياد.

(٣) في المخطوط (استطعت)، ولعل الصواب ما أثبتناه ليستقيم الوزن.

(٤) **نزه**: أبعده عن كل قبيح ومكروه. **الفؤاد**: القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]. **الكدر**: ضد الصفاء، والمقصود الهم والغم. **الذل**: الضعف والصغار والهوان.

(٥) (نابك) الخاطر.

(٦) (وجنب) الخاطر.

(٧) **نالك**: أصابك. **الضيم**: الظلم والإذلال: **تمكث**: توقَّف وانتظر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]. **يمم**: اقصد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. **الحلل**: جمع حلَّة، منزل القوم أو جماعة البيوت أو الحي، كما في المخطوط، وضبطه الخاطر والعماري بـ«**الخُلل**»: أي الفرجة بين الشيئين. وعليه، فالمقصود: مواقع سقوط المطر أو تجمعه.

(٨) **جنِّب**: أبعِد. **القلوص**: الإبل الفتية المجتمعة الخَلْق، وذلك من حين تُركب إلى التاسعة من عُمرها، ثم هي ناقة. **الرياض**: جمع روضة، =

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ سِحْرِ العُيُوْنِ وَمِنْ   سِحْرِ القُدُوْدِ(١) التي كَالغُصْنِ في المِيَلِ(٢)
وَكَمْ قَتِيْلٍ بِحُسْنِ الغَانِيَاتِ وَبِالطَّـ   ـرْفِ الكَحِيْلِ الذي يَرْنُو مِنَ الكَحَلِ(٣)
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَرْنُو إلى خَطَرٍ(٤)   فِيْهِ سِهَامٌ تُلاقِي المَرْءَ بِالأَجَلِ(٥)

= وهي الأراضي الخضراء الخصبة. **قلي**: أي ارتفع وابتعد.

(١) ضبطها الخاطر: (سمر الخدود)، والعماري: (سمر القدود)، وما أثبتناه من المخطوط.

(٢) (ميل) الخاطر والعماري، وما أثبتناه من المخطوط.

القدود: جمع قد، وهو القوام أو القامة. **الغصن**: ما تفرَّع عن ساق الشجرة.

يحذر الشاعر المسافر من النزول في الروضات النجدية الممرعة، خشية أن يُسحر بعيون الفتيات النجديات أو بقدودهن التي تميل كالغصن.

(٣) (الخجل) الخاطر.

الغانيات: جمع غانية، وهي المرأة المستغنية عن الزينة بحسنها وجمالها، قال جميل بن معمر:

إذا ما الغانيات برزن يومًا   وزجَّجن الحواجب والعيونا

ويقول أحمد شوقي:

خدعوها بقولهم حسناء   والغواني يغرهن الثناء

الطرف: العين. **يرنو**: يطرب ويلهو مع انشغال القلب والبصر به.

(٤) (نظر) الخاطر.

(٥) **إياك أن ترنو**: تحذير من الميل إلى المحرم. **المرء**: الرجل أو الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الأجل: الموت.

وَاسْمَعْ قَصِيْدَةَ آدَابٍ مُهَذَّبَةٍ   تُغْنِيْكَ عَنْ حَانَةِ(١) الصَّهْبَاءِ وَالعَسَلِ(٢)
أَلْفَاظُهَا كَعُقُوْدِ الدُّرِ في شَبَهٍ   أَوْدَعْتُهَا حِكَمًا مَتْقُوْنَةَ العَمَلِ(٣)
قَدْ غُصْتُ في لُجَجٍ حَتَّى ظَفِرْتُ بِهَا   إنَّ التَّأمُّلَ يُبْدِي جَوْهَرَ الأَمَلِ(٤)
فَوَصْفُهَا بَاهِرٌ مَعْ حُسْنِ رَوْنَقِهِ   وَكَيْفَ لا وَهْيَ قَدْ فَاقَتْ عَلى الأُوَلِ(٥)
وَالشِّعْرُ يَظْهَرُ في شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ   بَيْتٌ مِنَ الغَزْلِ أوْ بِيْتٌ مِنَ الغَزَلِ(٦)

---

(١) (حاجة) الخاطر.

(٢) **القصيدة**: الأبيات الشعرية المتحدة في الوزن والقافية والرَّوي، وتتكوّن من سبعة أبيات فأكثر. **الحانة**: موضع بيع الخمر. **الصهباء**: هي الخمر المعصورة من العنب الأبيض. **العسل**: الخمر المصنوع من العسل.

(٣) **العقود**: جمع عقد، وهو الخيط الذي ينظم فيه الخرز ونحوه، يحيط بالعنق. **الدر**: اللؤلؤ الكبيرة. **أودعتها**: ضمنتها. **الحِكم**: جمع حكمة، وهي الخبرة والتجربة والصواب والحق.

(٤) **غاص**: أي نزل تحته وانغمس فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢]. **اللجة**: البحر أو تردد أمواج البحر وتلاطمه، ومنه قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [النمل: ٤٤]. **ظفر**: فاز به وناله.

(٥) **الباهر**: الفائق والجميل والمضيء. **الرونق**: الحسن والبهاء والإشراق والبريق. **فاق**: فضل على غيره وصار خيرًا منه. **الأُوَل**: **جمع الأولى وهو مؤنث الأوَّل.**

(٦) **الشعر**: هو الكلام الموزون االمُقفَّى قصدًا. **الغزْل** (الأول): هو فتل خيوط الصوف بالمغزل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]. **الغَزَل** (الثاني): هو الشعر الذي يقال في النساء ووصفهن والتشبيب بهن. ولفظ الغَزْل والغَزَل يسمَّى في علم =

أُعِيْذُهَا مِنْ عُيُوْنِ الحَاسِدِيْنَ لَهَا   بِـ﴿قُلْ أَعُوْذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ عَنْ كَمَلِ(١)
فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ إِنْ تُلِيَتْ   تَكَادُ تَزْهُوْ عَلى الأَتْرَابِ في المَثَلِ(٢)
فَإِنْ نَحَوْتَ إِلى إِنْصَافِ مَعْرِفَتِي   بِلا فِخَارٍ وَلا ذَمٍّ وَلا خَلَلِ(٣)
لامِيَّةَ العَجْمِ تَرْوِيْ فَضْلَ نَاظِمِهَا   وَإِنَّ لامِيَّةَ البَحْرَيْنِ تَشْهَدُ لِي(٤)
أَبْيَاتُهَا اثْنَانِ مَعْ تِسْعِيْنَ قَدْ حُسِبَتْ   فَكُنْ لَهَا حَافِظًا وَابْذُلْ دُعَائَكَ لِي(٥)
جَاءَتْ بِحَمْدِ إِلٰهِي قُرَّةً وَحَلَتْ(٦)   فِي عَيْنِ كُلِّ أَدِيْبٍ كَامِلَ النُّبُلِ(٧)

= البلاغة الجناس التام المفروق، وهو كقول المعري:

والحُسْن يظهر في بيتين رونقه   بيت من الشعر أو بيت من الشعر

(١) **أعيذها**: أي أجيرها وأحصِّنها. **الكمل**: الكامل والتام.

(٢) **تُليت**: قُرئت. **الزهو**: الكِبْر والفخر. **الأتراب**: جمع تِرب، وهو القريب والمماثل في السِّن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣].

(٣) (ختل) الخاطر.

نحى: قصد. **الإنصاف**: العدل. **الخلل**: الفساد والضعف. **معرفتي**: إدراك حقيقتي.

(٤) سبق الكلام عليه في المقدمة.

(٥) **الحساب**: العدُّ. **البذل**: العطاء.

(٦) ضبطها الخاطر: (وجلت)، والعماري: (وغدت).

(٧) في المخطوط: (في كل عين أديب كامل نبل)، وضبطها العماري: (في عين كل أديب غاية الأمل).

القُرَّة: ما قرَّت به العين، أي ما يُسرُّ به الإنسان ويرتاح له ويسكن به، ومنه قوله تعالى: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]. **حَلَتْ**: أي حَسُنَتْ وجَمُلَتْ وطابَتْ. **الأديب**: من راضت نفسه على الأدب وفنونه من النثر =

وَحُسْنُ مَطْلَعِهَا فَاقَتْ بَرَاعَتَهُ   وَهَلَّ فِي بُرْجٍ عَلْيَاءٍ وَلَمْ يَفُلِ(١)
قَدْ قُلْتُ فِي بَدْئِهَا وَاللهُ أَلْهَمَنِي   الحَزْمُ بِالعَزْمِ لا بِالعَجْزِ وَالكَسَلِ(٢)

تمت

= والشعر وأصبح ماهرًا حاذقًا، كما يطلق على من أخذ بمحاسن الأخلاق. **النبل**: النجيب، الأصيل، الشريف.

(١) **مطلع القصيدة**: أول بيت فيها، والشعراء يعتنون به أشد الاعتناء، وذلك لأنه أول ما يقرع الأسماع ويشدُّ الانتباه عند الإلقاء ويبعث على المواصلة في السماع، والبلاغيون يسمُّون هذا (براعة المطلع) أو (براعة الاستهلال)، قال أبو هلال العسكري صاحب كتاب «الصناعتين»: «إذا كان الابتداء حسنًا بديعًا، ومليحًا رشيقًا، كان داعيةً إلى الاستماعِ لما يجيء بعده من الكلام». **البراعة**: حُسن الفصاحة التي فاقت نظائرها. **هلَّ**: ظهر. **البرج**: المقصود به بُروج السماء الاثني عشر التي عند الفلكيين، وهي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]. **العلياء**: كل شيء مرتفع كالسَّماء. **أفل**: أي غاب واستتر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

(٢) **ألهمني**: أي علمني ووفقني أو ألقى في رَوْعِي.
واختتم ببيت المطلع ليتم له حسن الختام كما كان له حسن المطلع.

قيد القراءة والسَّماع في المسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغ مقابلة بقراءة الشَّيخ عبد الله التُّوم عليَّ في مجلس واحد، بين العشاء والمغرب، بصحن المسجد الحرام، فصحَّ، والحمد لله.

كتبه
خادم العلم بالبحرين
نظام محمد صالح يعقوبي
تُجاه الكعبة المشرَّفة
ليلة ٢٧/ رمضان المبارك/ ١٤٣٤هـ

المـراجـع

١ ـ **الأعلام**: لخير الدِّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الحادية عشر، سنة ١٩٩٥م.

٢ ـ **معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة**: د. إميل بديع يعقوب، دار صادر ـ بيروت.

٣ ـ **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ـ الجزء الثالث**: زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٤م.

٤ ـ **الشِّعر الحديث في الحجاز**: عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية ـ الرياض.

٥ ـ **التيارات الأدبية الحديثة**: عبد الله عبد الجبار، معهد الدراسات العربية، القاهرة، سنة ١٩٥٩م.

٦ ـ **المغمورون الثلاثة (عالم وشاعران) الشاعر عبد الله الجامع، والعالِم خليفة النبهاني، والشاعر عبد المحسن الصَّحَّاف**: مبارك الخاطر، البحرين، سنة ١٩٨٩م.

٧ ـ **علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر**: بشار بن يوسف الحادي، بيت البحرين للدراسات والتوثيق، البحرين، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٨ ـ **الشعر في الجزيرة العربية ـ نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ**: عبد الله الحامد، الطبعة الأولى، دار الكتاب السعودي، الرياض، سنة ١٩٩٣م.

٩ ـ **مكة في القرن الرابع عشر الهجري**: محمد عمر رفيع، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨١م.

١٠ ـ **مجلة المنار**: محمد رشيد رضا، الناشر مطبعة المنار، القاهرة.

١١ ـ **الموقع الإلكتروني لمعجم البابطين على شبكة التواصل الاجتماعي.**

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

* المقدمة للمعتني ٣
ترجمة صاحب النَّظم الشيخ الصحَّاف ٥
  اسمه ونسبه ٥
  مولده ونشأته ٧
  مؤلفاته ١٠
  نماذج من أشعاره القصيرة الكثيرة المتناثرة ١٣
  وفاته ١٦
تعريف بـ «لاميَّة البَحرَيْن» ١٧
  أولًا : اللاميَّات ١٧
  ثانيًا : قافية اللام ١٩
  ثالثًا : لاميَّة الصَّحاف (البحرين) ١٩
وصف النسخ المعتمدة ٢٧
منهج العمل ٣٠
نماذج صور من المخطوط ٣١

لاميَّةُ البَحْرَيْنِ

مطلع اللَّامية ٣٧
قيد السماع ٦٢
المراجع ٦٣

❑ ❑ ❑